
مدرسة الحديث العراقية
مجلة
المُحدِّث
مجلةٌ عِلميةٌ فصلِيةٌ
العددُ الثالث، السّنةُ الأولى ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م
تصدرُ عن
مدرسة الحديث العراقية
رجب
آذار


بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة



مجلة المحدث مجلة علمية فصلية متخصصة بالحديث وعلومه

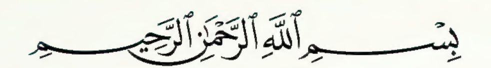
تصدر عن

مدرسة الحديث العراقية









كلمة العدد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، وبعد:

فمن متطلبات العلم ومستلزماتِهِ، التبليغُ، ومن غير المعقول أن يصل تبليغُ أيٍّ أحد لكل أحد على المعمورة، فأدوات الخطاب ولغته وكيفيته والفئة المستهدفة منه تجعل المبلغين محدودين، لكن رغم كل ذلك فإن المسلمين عامة، وأهل العلم خاصة مأمورون بالتبليغ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: بلغوا عني ولو آية" ، وقال: نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فأداها إلى من لم يسمعها ..."، وهكذا تصل رسالة هذا الدين بأن يؤدي كل منا ما يستطيعه بالقول والعمل، فلا نعلم بأي كلمة تكون هداية فرد أو قوم، سماعا لقول، أو قراءة لكتاب، أو تأثرا بفعل أو خلق، فـ " تسمعون ويسمع منكم، ويسمع ممن سمع منكم" وهذا رجاؤنا، وأملنا بالله أن يكون ما يتسطر في هذه المجلة إسهاما يشدُّ مع غيره من جهودٍ حبلَ الدعوة إلى الله ويقويه، ونحن مأمورون بالعمل، وعلى الله الهدايةُ، وهو من يثيب على الأعمال التي نرجو أن تكون وافقت الإتباع، وصدرت بنية صادقة، والحمد لله.

أ.د. قاسم محمد الخزرجي

رئيس التحرير







ثبت المحتويات

الى من نسي وغرَّته الدُّنيا

بقلم الشيخ بهجة الهيتي

شيخ مدرسة الحديث العراقية

لا يعجنَّك ان يقال سيادةً　　ورئيسُ دائرةٍ وبابك يقصدُ

لا يُبطرنّك أنْ ببابكَ حاجبٌ　　والامرُ امرك اذ يقوم ويقعدُ

جرساً تدقُّ وهو يُجيئك قائلاً　　لبّيكَ في كلِّ الامور يردّدُ

وتظلُّ يومك آمراً أو ناهياً　　تُدني بأمرك من تشاء وتُبعدُ

لا يخدعنَّك مركبٌ تغدو بهِ　　وتعود مزهوا كأنك تخلدُ

حمراً وصفراً تمتطي متباهياً　　ونسيت من اعطى وفضلهُ يجحدُ

تختالُ في تلك المراكب لاهياً　　والقصرُ إذ تأوي اليه مشيَّدُ

إن كان غرَّك ما ترى من زينةٍ　　وعظيم أبَّهةٍ وعيشكَ أرغدُ

أعطاك ما تهواه ربك فتنةً　　والربُّ يؤتي من يشاءُ ويمددُ

لابدَّ يوماً سوف ترحلُ راغماً　　عن كل ما أُوتيتَ سوف تُجرّدُ

وتُبدلن ضيق اللحود بما ترى　　والتربُ يملأ فاك حين تُوسَّدُ

ولسوف تصبح لا محالة في غدٍ ... رهناً حبيس صفائح تتنضدُ

وامامك العرض الرهيب وهوله ... هولٌ يشيب الطفلُ أو هو أزيدُ

والوزنُ يومئذٍ بحقّ فالذي ... ثقلت له الميزان ذاك الاسعد

أمّا الذي خفَّت له ميزانهُ ... من سوئه فهو الشقيُّ الأبعدُ

ولسوف تُؤخذُ ان عريتَ من التُّقى ... للنارِ تصلاها وأنت مصفَّدُ

فالدارُ إما جنة تحيا بها ... أو دارُ نيرانٍ عذابها سرمدُ

هذا جزاؤك إن عصيت وإنما ... كلٌّ سيجزى بالذي به يجهدُ

فاعمل لما بعد الممات بطاعةٍ ... تُرضي بها الرحمن علَّكَ تُسعدُ

واعبد لربك راغباً له راهباً ... دوماً فنعم العابد المتعبدُ

واسجد له ليلاً طويلاً ضارعاً ... والرجز فاهجرهُ لعلَّك تُرشدُ

واصبر على ما قد قضاهُ مفوضاً ... واشكر له النعماء ذلك أفيدُ

لايلهينَّك طيبُ عيشٍ بعده ... موتٌ وحشرٌ والحسابُ مشددُ

عيش قصير في متاع زائل ... قد خاب طالبهُ وعيشهُ أزيدُ



والعيش حلمٌ والمنيةُ يقظةٌ	والعمرُ أنفاسٌ عليكَ تعدّدٌ
لعبٌ ولهوٌ زينة وتفاخرٌ	دنياكَ يا مغرور لو ذا تشهدُ
فاجعل رضا الرحمن وحدهُ غايةً	من يرضى عنه الله فهو الاسعدُ
ولهادم اللّذات فاذكر دائماً	والقبرُ لاتنساهُ علّك تزهدُ
والعيشُ حلوٌ والمنون مريرةٌ	والدار فانية فما لك تجحدُ
والعزُ في تقوى الاله وغيرها عرَضٌ	قليلُ عن قريب يفقدُ
جاهٌ ومالٌ أو بنونٌ كلُّها	تفنى ويبقى الواحدُ المتفرّدُ
يا ويحَ من يعصي ويظلم أما له	عن غيّه قبل الرحيل تجردُ
لا تحسبنَّ الله عنكَ بغافلٍ	فالله يمهلُ غير أنه يرصدُ
وختامها هُدي الصَّلاةَ لمن لهُ	يومَ القيامةِ المقامُ الأوحدُ



باقة من نشاطات

مدرسة الحديث العراقية وفروعها





نشاطات مدرسة الحديث العراقية فرع جنوب بغداد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أقامت مدرسة الحديث العراقية/ فرع جنوب بغداد بالتعاون مع مديرية أوقات جنوب بغداد دورة في قراءة وشرح أحاديث الأربعين النووية ابتداء من السبت ٢٠٢١/١/٢ وبواقع درس واحد في كل أسبوع، سائلين الله التوفيق والقبول كما وأنها ستشرع قريباً بانطلاق أول دورة علمية لها في الحديث النبوي وعلومه، إضافة الى علوم الفقه والنحو والعقيدة











نشاطات مدرسة الحديث العراقية فرع نينوى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نشاطات مدرسة الحديث العراقية فرع نينوى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فهذا ملخص موجز لأهم نشاطات مدرسة الحديث العراقية / فرع نينوى ، لمدة ثلاثة أشهر أي من ١٢/١٥ وإلى ٢٠٢١/٣/١٥م نسال الله تعالى التوفيق والإتمام والتسديد.

وهي على سبيل التفصيل كما موضحة بالجدول التالي :

الثلاثاء ١٢/١٥ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة أولى / دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الخميس ١٢/١٧ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة ثانية في مركز المدرسة / شرح الشيخ إبراهيم الحيالي .

السبت ١٢/١٩ درس في كتاب (تدريب الراوي بتحقيق د. محمد عوامة) دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الثلاثاء ١٢/٢٢ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة أولى / دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الخميس ١٢/٢٤ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة ثانية في مركز المدرسة / شرح الشيخ إبراهيم الحيالي .

السبت ١٢/٢٦ درس في كتاب (تدريب الراوي بتحقيق د. محمد عوامة) دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الثلاثاء ١٢/٢٩ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة أولى / دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الخميس ١٢/٣١ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة ثانية في مركز المدرسة / شرح الشيخ إبراهيم الحيالي .

السبت ١/٢ درس في كتاب (تدريب الراوي بتحقيق د. محمد عوامة) دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الثلاثاء ١/٥ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة أولى / دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الخميس ١/٧ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة ثانية في مركز المدرسة / شرح الشيخ إبراهيم الحيالي .

السبت ١/٩ درس في كتاب (تدريب الراوي بتحقيق د. محمد عوامة) دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الثلاثاء ١/١٢ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة أولى / دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الخميس ١/١٤ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة ثانية في مركز المدرسة / شرح الشيخ إبراهيم الحيالي .

السبت ١/١٦ درس في كتاب (تدريب الراوي بتحقيق د. محمد عوامة) دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الثلاثاء ١/١٩ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة أولى / دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الخميس ١/٢١ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة ثانية في مركز المدرسة / شرح الشيخ إبراهيم الحيالي .

السبت ١/٢٣ درس في كتاب (تدريب الراوي بتحقيق د. محمد عوامة) دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الثلاثاء ١/٢٦ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة أولى / دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الخميس ١/٢٨ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة ثانية في مركز المدرسة / شرح الشيخ إبراهيم الحيالي .

السبت ١/٣٠ درس في كتاب (تدريب الراوي بتحقيق د. محمد عوامة) دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الثلاثاء ٢/٢ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة أولى / دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الخميس ٢/٤ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة ثانية في مركز المدرسة / شرح الشيخ إبراهيم الحيالي .

السبت ٢/٦ درس في كتاب (تدريب الراوي بتحقيق د. محمد عوامة) دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الثلاثاء ٢/٩ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة أولى / دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الخميس ٢/١١ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة ثانية في مركز المدرسة / شرح الشيخ إبراهيم الحيالي .

السبت ٢/١٣ درس في كتاب (تدريب الراوي بتحقيق د. محمد عوامة) دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الثلاثاء ٢/١٦ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة أولى / دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الخميس ٢/١٨ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة ثانية في مركز المدرسة / شرح الشيخ إبراهيم الحيالي .

السبت ٢/٢٠ درس في كتاب (تدريب الراوي بتحقيق د. محمد عوامة) دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الثلاثاء ٢/٢٣ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة أولى / دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الخميس ٢/٢٥ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة ثانية في مركز المدرسة / شرح الشيخ إبراهيم الحيالي .

السبت ٢/٢٧ درس في كتاب (تدريب الراوي بتحقيق د. محمد عوامة) دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الثلاثاء ٣/٢ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة أولى / دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الخميس ٣/٤ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة ثانية في مركز المدرسة / شرح الشيخ إبراهيم الحيالي .

السبت ٣/٦ درس في كتاب (تدريب الراوي بتحقيق د. محمد عوامة) دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الثلاثاء ٣/٩ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة أولى / دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الخميس ٣/١١ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة ثانية في مركز المدرسة / شرح الشيخ إبراهيم الحيالي .

السبت ٣/١٣ درس في كتاب (تدريب الراوي بتحقيق د. محمد عوامة) دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

الثلاثاء ٣/١٦ درس في كتاب (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان) / مجموعة أولى / دروس صوتية مسجلة / شرح د. رضوان عزالدين صالح .

اقامة مجلس علمي بعنوان (مدخل تعريفي بالكتب التسعة) بتاريخ ٢٠٢١/٢/٤ للاستاذ المساعد الدكتور رضوان عزالدين صالح .

دروس في أصول التخريج ودراسة الأسانيد سبع محاضرات / للأستاذ المساعد الدكتور رضوان عزالدين صالح

دروس متفرقة في التحفة السنية شرح المقدمة الاجرومية / الشيخ حاتم العباسي

الأستاذ المساعد الدكتور

رضوان عزالدين صالح الحديدي

مسؤول فرع نينوى



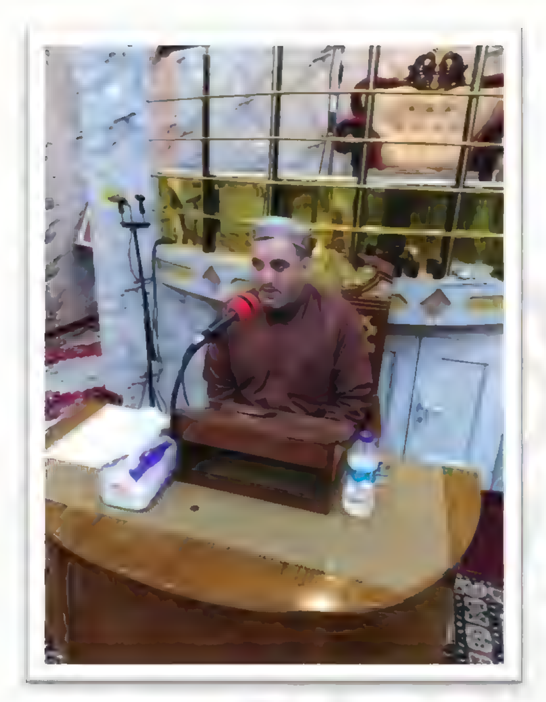
نشاطات مدرسة الحديث العراقية فرع سامراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أقامت مدرسة الحديث العراقية فرع سامراء جملة من النشاطات العلمية المتعلقة بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وحرص الفرع على ديمومة العمل واستمراره، وحظي بمتابعة دقيقة من الشيخ الدكتور قاسم طه محمد السامرائي مسؤول فرع سامراء، وقد ألقى الشيخ فارس صفاء دروسا علمية متعددة في جامع ياسين الحبيب، ونسأل الله التوفيق والقبول.



السبت	الفقه واصوله
الاحد	سنن ابي داود
الاثنين	
الثلاثاء	سنن الترمذي
الاربعاء	
الخميس	سنن النسائي
الجمعة	







نشاطات مدرسة الحديث العراقية فرع ديالى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

استمرارا في نشاطات مدرسة الحديث العراقية فرع ديالى، فقد تم عقد دروس علمية ومجلس رواية، ودورات، نوجزها فيما يأتي:

١-قراءة صحيح الإمام مسلم (رواية) في جامع الأقصى، على الشيخ
د. عبد المحسن الجبوري

٢-قراءة سنن الترمذي (رواية) في جامع الأقصى، على الشيخ
د. عبد المحسن الجبوري

٣-دورة في كتاب اختصار علوم الحديث وتعليقات الشيخ أحمد شاكر في الباعث الحثيث (مصطلح)، على الشيخ
د. عبد المحسن الجبوري

٤-عقد مجلس سماع وشرح الأربعين النووية، على الشيخ د. حسام الربيعي.

٥-دورة في شرح المنظومة البيقونية للشيخ عبد الرحمن سعيد الكرخي.

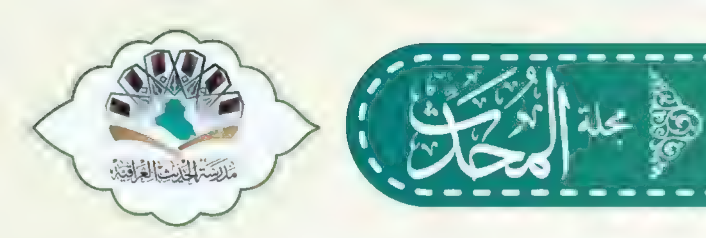
والحمد لله رب العالمين




نشاطات عامة

الاستمرار في مشروع قراءة الكتب الستة، وهو من المشاريع الرائدة في مدرسة الحديث العراقية، نعمل من خلاله على إحياء مجالس السماع والقراءة الكاملة للكتب الستة على ثلة من الشيوخ الفضلاء من العالم الإسلامي





تقيم مدرسة الحديث العراقية واكاديمية الفقه الشافعي وأصوله/ التابعة لمركز العروة الوثقى ومنتدى الجوهري للعلوم الشرعية

مشروع

﴿الدرر البهية في جرد كتب الشافعية﴾

«الأصول والفروع والقواعد وغيرها»

¤قراءة وتعليق الشيخ¤

احمد الجوهري عبد الجواد

وذلك كل يوم سبت

الساعة ١٠:٠٠ صباحاً بتوقيت مكة المكرمة



أقامت مدرسة الحديث العراقية مجلساً حديثياً بعنوان

❍ ثلاثيات مسند الإمام أحمد ❍

قراءة على فضيلة الشيخ الدكتور

❖محمود بن محمد حمدان❖

¤———— ¤ ————¤

وذلك يوم الأحد والاثنين ٩-١٠/ رجب/ ١٤٤٢هـ الموافق ٢٠-٢١/ ٢/ ٢٠٢١م

الساعة ٨:٣٠ مساءً بتوقيت مكة المكرمة





استضافت مدرسة الحديث العراقية

فضيلة الشيخ المحدث ﴿ عبد الله بن عبد الرحمن السعد﴾

في محاضرة علمية بعنوان :

(شبهات حول السنة عرض ونقد)

وذلك يوم السبت

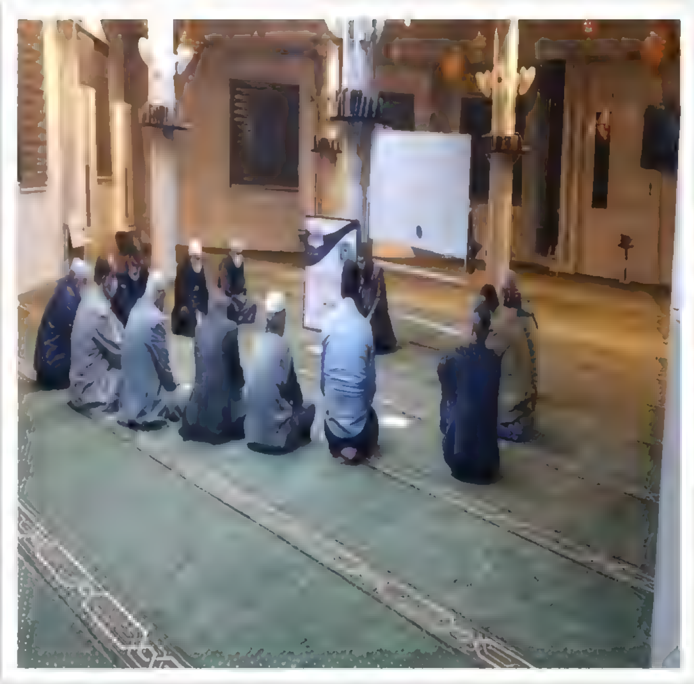
الموافق :٨ رجب ١٤٤٢ /٢٠-٢-٢٠٢١

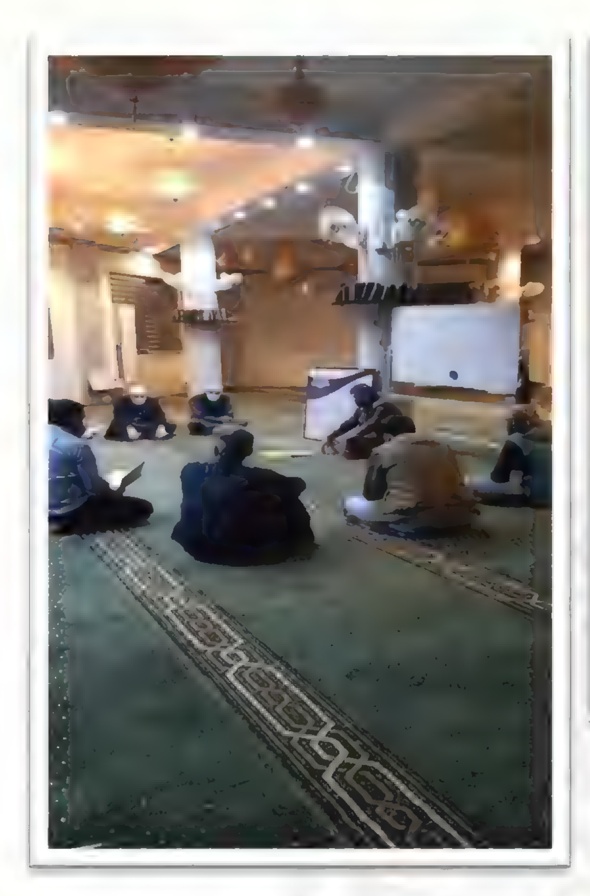
الساعة (٠٤:٣٠) عصراً





درس اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير، على الأستاذ الدكتور أحمد عبد الجبار الزهيري في مقر مدرسة الحديث العراقية في جامع خالد بن الوليد في الدورة، الثلاثاء ١٦/٢/٢٠٢١





درس شرح الأربعين النووية للحافظ النووي ، على الأستاذ الدكتور أحمد عبد الجبار الزهيري في مقر مدرسة الحديث العراقية في جامع خالد بن الوليد في الدورة، الثلاثاء ٢٠٢١/٢/١٦





تستمر مدرسة الحديث العراقية ومقرأة الإمام الشاطبي للقرآن الكريم وعلومه في إقامة المشروع القرآني

مشروع الختمة التدبرية

تحت شعار

ليدبروا آياته

وذلك كل يوم ثلاثاء

الساعة ٨:٠٠ مساءً بتوقيت مكة المكرمة

مشروع

الختمة التدبرية

تحت شعار

ليدبروا آياته

مدرسة الحديث العراقية

وقفات مع سورة البقرة الآيات «٤٠ الى ٤٦» من السورة

تصحيح التلاوة

الشيخ عبد الرحمن محمد

عضو هيئة التدريس في مقرأة الإمام الشاطبي للقرآن الكريم وعلومه

الوقفات الإعرابية والبلاغية

الخبير اللغوي الدكتور أحمد الجنابي

الوقفات التدبرية

الشيخ أحمد فائق ناجي

إمام وخطيب جامع الهادي البشير في بغداد

الساعة ٨:٠٠ مساء
بتوقيت مكة المكرمة

يوم الثلاثاء
١٦/ ٢/ ٢٠٢١م

تبث عبر الزووم
وصفحة الفيس بوك لمدرسة الحديث العراقية
وصفحة الفيس بوك لمقرأة الإمام الشاطبي



وقفات مع سورة البقرة الآيات «٣٥ الى ٣٩» من السورة
تصحيح التلاوة
الشيخ ضياء المرعي
عضو اللجنة العلمية لمشيخة المقارئ العراقية ومدير مركز المخطوطات والوثائق في ديوان الوقف السني
الوقفات الإعرابية والبلاغية
أ.م.د. خيرالله فالح الشمري
مدرس اللغة العربية وعلومها في كلية الإلهيات، جامعة جنق قلعة، تركيا
الوقفات التدبرية
الدكتور عثمان راشد مجيد العاني
عضو اللجنة العلمية لمشيخة المقارئ العراقية، وأستاذ القراءات وعلومها في ثانوية الكوفة الإقرائية
يوم الثلاثاء
٢٧ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ
الموافق ٩/٢/٢٠٢١م
الساعة ٨:٠٠ مساءً
بتوقيت مكة المكرمة
تبث عبر تطبيق: الزووم وصفحة الفيس بوك لمدرسة الحديث العراقية وصفحة الفيس بوك لمقرأة الإمام الشاطبي



ليدبروا آياته
وقفات مع سورة البقرة الآيات «٣٠ الى ٣٤» من السورة
تصحيح التلاوة
الشيخ أيسر مهدي
عضو اللجنة العلمية لمشيخة المقارئ العراقية
الوقفات الإعرابية والبلاغية
الأستاذ الدكتور أسعد عبد العليم السعدي
أستاذ اللغة العربية وعلومها في كلية الإمام الأعظم الجامعة
الوقفات التدبرية
الأستاذ الدكتور صلاح العبيدي
أستاذ اللغة العربية والقراءات في كلية الآداب جامعة تكريت
يوم الثلاثاء ١٣ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ الموافق ٢/٢/٢٠٢١م
الساعة ٨:٠٠ مساءً بتوقيت مكة المكرمة
تبث عبر تطبيق: الزووم وصفحة الفيس بوك لمدرسة الحديث العراقية وصفحة الفيس بوك لمقرأة الإمام الشاطبي

حفل تكريم المجتازين لدورة (علم الفرائض والمواريث)

لفضيلة الشيخ الدكتور مولود مخلص الراوي

يوم الجمعة ١٦/جمادى الآخرة/ ١٤٤٢هـ الموافق ٢٩/١/٢٠٢١م

بغداد / الدورة/ جامع خالد بن الوليد















أقامت مدرسة الحديث العراقية مجلسا علميا بعنوان

«مَدْخَلٌ تَعْرِيفَيٌ بِالْكُتُبِ التِّسْعَةِ»

قراءة منهجية علمية

ألقاه أ.م.د. رضوان عزالدين صالح

أستاذ الحديث في كلية الإمام الأعظم قسم نينوى

مسؤول فرع مدرسة الحديث العراقية فرع نينوى

وذلك يوم الخميس ٤/ ٢/ ٢٠٢١م

الساعة ٨:٣٠ مساءً بتوقيت بغداد

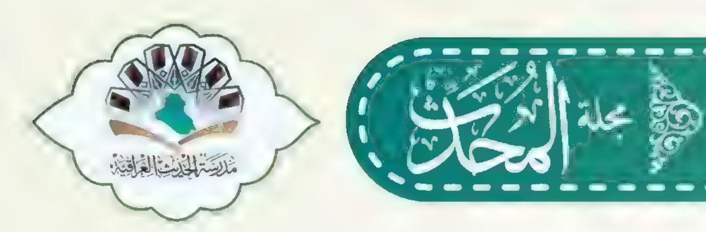


أقامت مدرسة الحديث العراقية مجلس سماع

جزء في عمل اليوم والليلة للإمام ابن حجر العسقلاني

قراءة على الدكتور عبد الحكيم الأنيس

تقيم
مدرسة الحديث العراقية
مدرسة الحديث العراقية
مجلس سماع جزء في
عمل اليوم والليلة
للإمام الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني
قراءة على الدكتور عبد الحكيم الأنيس
يوم الجمعة
٢٣/جمادى الآخرة/١٤٤٢هـ
الموافق ٥/٢/٢٠٢١م
الساعة ٤:١٥ عصراً
بتوقيت مكة المكرمة
يبث المجلس
عبر صفحة الفيس بوك
لمدرسة الحديث العراقية
وقناة اليوتيوب



تعلن مدرسة الحديث العراقية عن فتح باب التسجيل في مسابقة حفظ كتاب

«عمدة الأحكام للحافظ المقدسي »

يشمل كلا الجنسين ينتهي التسجيل ١٥/ شعبان/١٤٤٢هـ موعد الاختبار ١٠-١٢/ رمضان/ ١٤٤٢هـ يكون الإختبار حضور

يكون التسجيل عن طريق عبر الرابط

https://forms.gle/eGLjjGR١uzWU٢byT٨

او لدى إدارة المدرسة في جامع خالد بن الوليد في الدورة تعلن النتائج ليلة ٢٧ رمضان في مقر مدرسة الحديث العراقية بغداد_الدورة _جامع خالد بن الوليد يكرم العشر الأوائل بالجوائز



أقامت مدرسة الحديث العراقية وبالتعاون مع قسم الحديث وعلومه في كلية العلوم الإسلامية/الجامعة العراقية

ورشة علمية بعنوان **صِنَاعَةُ الْبَاحِثِ الْمُتَمَيِّزِ** الأساتذة المشاركون

أ.د. كاظم خليفة الحلبوسي – أ.د. ضياء محمد المشهداني – أ.م.د. عبدالقادر محمد الزوبعي – ويدير الورشة : أ.م.د. أحمد حامد دحام

وذلك يوم الأحد ١٨/ جمادى الآخرة/ ١٤٤٢هـ الموافق ٣١/ ١/ ٢٠٢١م

مدرسة الحديث العراقية

تقيم مدرسة الحديث العراقية

وبالتعاون مع

قسم الحديث وعلومه في كلية العلوم الإسلامية/الجامعة العراقية

ورشة علمية بعنوان

صِنَاعَةُ الْبَاحِثِ الْمُتَمَيِّزِ

الأساتذة المشاركون :

أ.د. كاظم خليفة الحلبوسي ❖ أ.د. ضياء محمد المشهداني ❖ أ.م.د. عبد القادر محمد الزوبعي

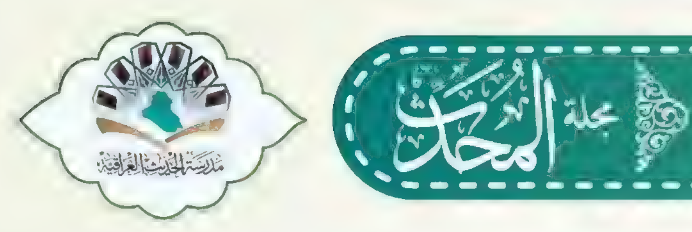
❖ ويدير الورشة : أ.م.د. أحمد حامد دحام

يوم الأحد ١٨/ جمادى الآخرة/ ١٤٤٢هـ الموافق ٣١/ ١/ ٢٠٢١م

الساعة ٨:٠٠ مساءً بتوقيت بغداد

تبث عبر تطبيق الزوووم

وصفحة الفيس بوك لمدرسة الحديث العراقية



في إطار المشروع العلمي لمدرسة الحديث العراقية، الإعلان عن المؤتمر العلمي المشترك بين مدرسة الحديث العراقية وكلية العلوم الإسلامية في جامعة الفلوجة، الموسوم "دور علماء المسلمين في البناء الحضاري" الذي سيعقد بتاريخ ٤-٥/٤/٢٠٢١ بإذن الله



الديباجة

كان للعلماء المسلمين دور رائد في تطور العلوم المختلفة؛ فجاءت إسهاماتهم متميزة؛ لأنهم استخدموا نهجًا مغايرًا لغيرهم من السابقين في تطور تلك العلوم، في كل العلوم الدينية والدنيوية. فلم تقتصر نهضتهم على جانب دون جانب، أو فن دون فن، بل جاءت متزنة متوازية في جميع العلوم ،حتى في علم الفلك، ذكر حاجي خليفة في كتابه "كشف الظنون" عددًا من الأجهزة الفلكية، فقال: "إن علم الآلات الرصدية هو فرع من فروع علم الهيئة ،وهو علم يتعرف منه كيفية تصنيع الآلات الرصدية قبل الشروع بالرصد، فإن الرصد لا يتم إلا بآلات كثيرة".

ولا غرو ! فالإسلام هو دين العلم، ومعدن الحضارات، لقد أسهموا في بناء حضارة إنسانية عظيمة امتدت قرونا طويلة، في بغداد، والقاهرة، وقرطبة، وسمرقند، والرقة وغيرها، واكتسبت تلك الحضارة قوة لأنها تستمد مصادرها من كتابها وسنة نبيها، ولهذا فقد أضاف العلماء المسلمون إضافات ذات أثر واسع في كل العلوم ،فاستطاعوا تحويل بعض العلوم من المجال النظري إلى مجال التجارب العملية، فمن يجهل ابن يونس الذي اخترع (البندول) في القرن العاشر الميلادي واستعمله لقياس الزمن، وابن الهيثم الذي درس ظواهر انكسار الضوء وانعكاسه بشكل مفصل،

لم تقف جهود العلماء المسلمين عند هذا الحد، بل قاموا بقياس محيط الكرة الأرضية بكل دقة، وذلك في عهد الخليفة العباسي المأمون، وقام العالم الفلكي أبو الريحان البيروني بوضع معادلة رياضية لحساب محيط الأرض، وهي تستخدم حتى وقتنا الحاضر، وتعرف عند علماء الغرب بقاعدة البيروني لحساب نصف قطر الأرض.

وكذلك في كثير من فنون العلوم التي أسست لحضارة رائعة .

ونحاول ههنا في هذا المؤتمر التعرض لدور علماء المسلمين في البناء الحضاري في المجتمعات المتنوعة.

جامعة الفلوجة
UNIVERSITY OF FALLUJAH
مدرسة الحديث العراقية

تحت شعار

(الحضارة الإسلامية بناء ونماء)

تقيم مدرسة الحديث العراقية وبالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية / جامعة الفلوجة مؤتمرها العلمي :

(دور علماء المسلمين في البناء الحضاري)

في يومي الأحد والاثنين ٢٢-٢٣ / شعبان / ١٤٤٢هـ الموافق ٤-٥/ ٤/ ٢٠٢١م



المحاور

المحور الأول : الحضارة الإسلامية المقومات والخصائص.
المحور الثاني : الجانب الاقتصادي في الحضارة الإسلامية.
المحور الثالث: الجانب الاجتماعي في الحضارة الإسلامية.
المحور الرابع : الجانب العلمي في الحضارة الإسلامية.
المحور الخامس : العلاقات الدولية في الحضارة الإسلامية.
المحور السادس : النظام القضائي والتشريعي في الحضارة الإسلامية.
المحور السابع: الجانب العسكري والسياسي في الحضارة الإسلامية.
المحور الثامن: الجانب المعماري في الحضارة الإسلامية.
المحور التاسع: شبهات حول الحضارة الإسلامية.
المحور العاشر: دور المؤسسات العلمية في النهضة الحضارية

شروط المشاركة

١- أن يكون البحث ضمن محاور المؤتمر.
٢- أن لا يكون مستلا أو منشورا في مكان آخر، ويتسم بالأصالة والابتكار.
٣- آخر موعد لاستلام البحث كاملاً أو ورقة البحث يوم ٢٠/ ٣/ ٢٠٢١م
٤- تخضع جميع البحوث للتحكيم ،ولا تلتزم الجهة المنظمة اعادة البحوث المرفوضة.
٥- تنشر البحوث المقبولة في مجلة كلية العلوم الإسلامية / جامعة الفلوجة (الباحث الإسلامية)
٦- يتم ارسال الملخصات والبحوث على البريد الإلكتروني :
Iraqischoolha2020@gmail.com
أو تسلم للسيد رئيس قسم الحديث وعلومه في كلية العلوم الإسلامية جامعة الفلوجة

اللجنة العلمية

أ.د. قاسم محمد الخزرجي رئيساً
أ.د. أحمد عبد الجبار غناوي
أ.د. ندى عبد الله خليل
أ.د. عبد الله كريم عليوي
أ.د. علي حسين عباس
أ.د. حسين خضير عباس
أ.د. احمد عبيد الكربولي
أ.د. أحمد خلف عباس
أ.د. عامر عمران الخفاجي
أ.د. سامر سلطان الكبيسي
أ.م.د. أحمد علي بريسم
أ.م.د. عبد الستار إبراهيم المحمدي
أ.م.د. محمد إبراهيم عبد المجيد
أ.م.د. ياسر عبد الرحمن صالح

اللجنة التحضيرية

أ.د. عبد الرحمن مركب العيساوي
أ.د. ضياء محمد المشهداني
أ.د. إدريس عسكر العيساوي
أ.د. ثامر ماجد عبد العزيز
أ.د. أياد طه سرحان
أ.م.د. سعدون محمد السامرائي
أ.م.د. ياسر محمود حمادي
أ.م.د. إسماعيل خليل العيساوي
أ.م.د. عبد القادر محمد حسين
أ.م.د. سرمد فؤاد شفيق
أ.م.د. حسن إبراهيم عبد
د. علاء كامل عبد الرزاق
د. محمد عبد الكريم عبد الرحمن

اللجنة الإعلامية

م.م. محمد عادل شافي
السيد إيهاب صديق الدوري
السيد أنمار كاظم



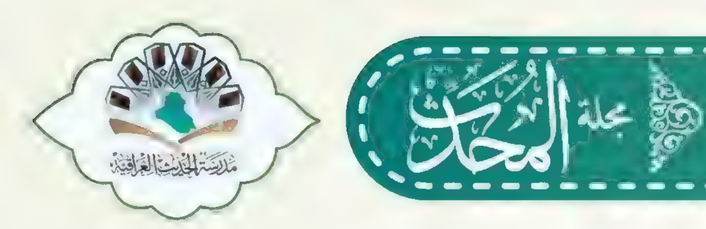
(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ)

تُقيم مدرسة الحديث العراقية دورة علمية في علم النحو متن (المقدمة الآجرومية)

لفضيلة الشيخ: ماهر عيدان العبيدي ابتداء من يوم السبت الموافق ٢٣/١/٢٠٢١م

الساعة ٣:١٥ مساءً بتوقيت مكة المكرمة بمعدل مجلس واحد في الأسبوع البث المباشر يكون عبر الزووم والفيس بوك مجموعة مدرسة الحديث العراقية / الدروس العلمية





قراءة مقدمة صحيح الإمام مسلم قراءة على الشيخ أحمد آل إبراهيم العنقري

وذلك يوم الخميس الموافق ٧/ ١/ ٢٠٢١م

أقامت مدرسة الحديث العراقية الندوة العلمية الدولية بعنوان: (الإمام أبو حنيفة فقيه الملة بين الوفاء والجفاء)

شارك فيها: الشيخ عبد الحكيم الانيس

الشيخ شاه جهان نقاب

الشيخ محمد غازي

الشيخ قاسم طه السامرائي



أقامت مدرسة الحديث العراقية مجلس سماع

(للمنظومة الرحبية)

قراءة على فضيلة الشيخ الفرضي

د. مولود مخلص الراوي حفظه الله

وذلك يوم الخميس الموافق٢٤/١٢



أقامت مدرسة الحديث العراقية بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية / جامعة سامراء

محاضرة علمية بعنوان:

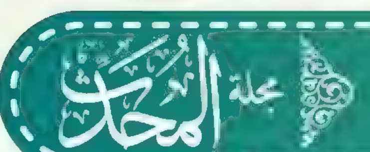
تباين منهج التصنيف عند المحدثين وأثره النقدي

للأستاذ الدكتور:

عبدالقادر مصطفى المحمدي

وذلك يوم الأثنين الموافق ٧/ ١٢/ ٢٠٢٠م



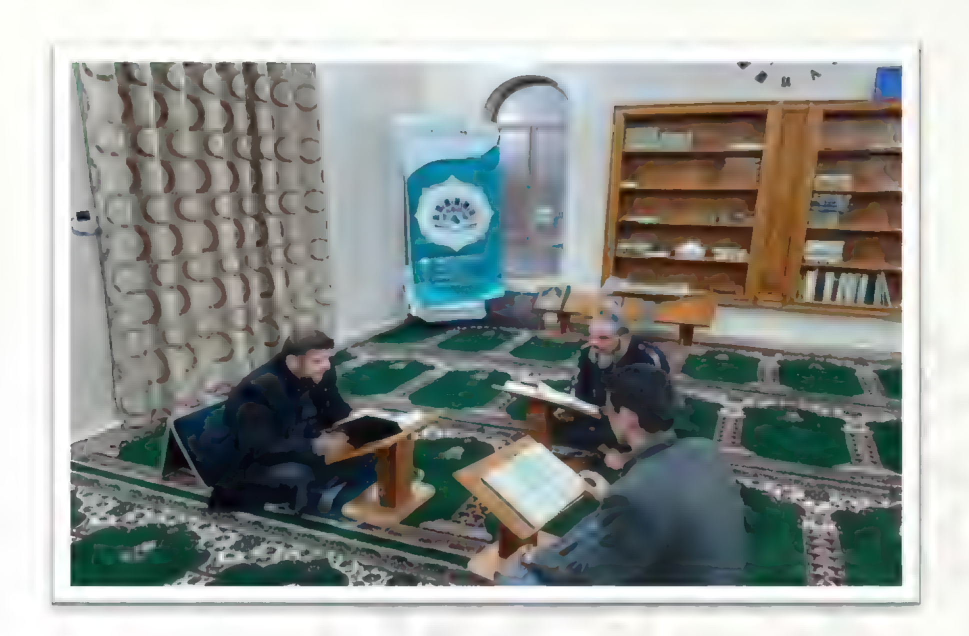



مدرسة الحديث العراقية فرع الفلوجة

جانب من محاضرة الاستاذ المساعد الدكتور محمد سعدي شفيق في مادة مصطلح الحديث لهذا اليوم الاحد الموافق ٢٠٢٠/١٢/٦



دورة في القراءات السبع من طريق الشاطبية، على الشيخ الدكتور سامر سلطان الكبيسي، في مدينة الفلوجة









دورة في رواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية، على الشيخ الدكتور سامر سلطان الكبيسي، في مدينة الفلوجة.










مدرسة الحديث العراقية
المقالات



المحدث الزاهد المربي:

ابن الفَرَجي السامري (ت: ٢٧١هـ)[١]

عبد الحكيم الأنيس[٢]

هذا عالمٌ محدثٌ فقيهٌ مربٍّ، له أقوالٌ نافعةٌ، وإرشادٌ مؤثرٌ، وهو قلما يُعْرف، وهذه كلماتٌ تُعرِّفُ به[٣]:

---

(١) التواريخ المذكورة كلها بالهجري، فلا يلزم تمييزها بحرف الهاء.

(٢) كبير باحثين أول، وعضو هيئة كبار العلماء في دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي.

(٣) مصادرُ ترجمته الأصيلة:

-"طبقات النُّساك" لابن الأعرابي، ولم يصلْ إلينا لكن المرجح أن الخطيب نقل عنه.

-"حلية الأولياء" (٢٨٧/١٠).

-"تاريخ بغداد" (٣٧٨/٣).

-"الأنساب" (٣٦٠/٤).

-"المنتظم" (٢٤٨/١٢)، وفيات (٢٧١)، -وتحرَّف فيه الفَرَجي إلى الفرخي!-.

-"تاريخ الإسلام" (٦٢٧/٦).

-"الوافي بالوفيات" (١٤٥/٥).

وأقوالُه ومروياتُه منثورة في كتب الحديث، والتراجم، والزُّهد والرقائق.

ومِنْ مصادر ترجمته المتأخرة:

-"الكواكب الدرية" (١٣٩/٢-١٤٠) -اعتمد على ترجمة أبي نُعيم فاختصرَها ولم يُضف شيئاً.

-"تاج العروس" (فرج).

-"جامع كرامات الأولياء" (١٠١/١).

و"الأعلام" (١٤٥/٧).

و"معجم المؤلِّفين" (١١٧/١٢)، ولا جديدَ فيها.

تعريف عام:

قال الخطيبُ البغدادي: "**محمد بن الفرج، أبو جعفر الصوفي المعروفُ بابن الفَرَجي، مِن أهل سُرَّ مَنْ رأى**(١).

ذكر أبو سعيد بنُ الأعرابي أنه كان مِن أبناء الدُّنيا وأرباب الأحوال(٢)**، وأنه ورث مالاً كثيراً فأخرجَ جميعَه وأنفقَه في طلب العلم، وعلى الفقراء والنُّساك والصوفية، وكان له موضعٌ من العلم والفقه ومعرفة الحديث، لزِمَ عليَّ بن المديني فأكثرَ عنه، وكان يحفظُ الحديثَ، ويُفتي بالمقطعات عن الشعبي والحسنِ وابنِ سيرين وغيرهم، وصحبَ الصوفية مثل أبي تراب النخشبي، وذي النون المصري**(٣)**، ونحوهما، ونزلَ الرملة، وكان له مجلسٌ للوعظ في جامعها.**

وحدَّث عن إبراهيم بن عبد الله الهروي، وأبي ثور الفقيه، وعلي بن المديني.

روى عنه محمدُ بن يوسف بن بشر الهروي، وغيره.

ومات بالرملة بعد سنة سبعين(٤) **ومئتين**"(٥).

وقال السمعاني: "الفَرَجي: بفتح الفاء وفي آخرها الجيم. هذه النسبة إلى الفرَج وهو اسم رجل، والمشهور بهذه النسبة: أبو جعفر محمد بن يعقوب الصوفي المعروف بابن الفَرَجي نُسب إلى جَدّه الأعلى"(٦).

وقال أبو نُعيم: "العارفُ بالأصول، العازفُ عن الفضول، له القلبُ الخاشعُ، والأذنُ السامعُ، أحكمَ علم الآثار وأتقنَها، وألّفَ في المعاملاتِ والأحوالِ وأوضحَها: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن الفَرَجي،

---

(١) ولهذا نسبَه الصفدي في "الوافي بالوفيات" (١٤٥/٥) فقال: "السَّامري".

(٢) في "الأنساب": الأموال.

(٣) روى ابنُ الجوزي في معرض النقد خبراً ذكره ابنُ الفَرَجي عن ذي النون. انظر: "تلبيس إبليس" ص ٧١٩. والخبر نفسه في "صفة الصفوة" (٤٢٩/٤).

(٤) هذا ما في "تاريخ بغداد" و"الأنساب". وجاء في نقل محقّقِ "طبقات الصوفية" نور الدين شريبة من "الأنساب" ص ١٤٦: تسعين. وهو خطأ.

(٥) تاريخ بغداد (٣٨٧/٣).

(٦) الأنساب (٣٦٠/٤). وتتمةُ كلامه منقولٌ عن ابن الأعرابي كما عند الخطيب.

صحب الحارثَ بن أسد المحاسبي وطبقتَه، له مُصنّفات في معاني الصوفية: كتاب الورع، وكتاب صفات المريدين.

كان من الأئمة في علوم النُّساك، يَرفعُ من الفقراء وينصرُهم، ويَضعُ من المدَّعين ويُزري عليهم"[1].

وقال الذهبي: "**كان إماماً فقيهاً يُفتي بالأثر، وله فضلٌ وعبادةٌ**... وكان على غاية التجريد يأوي بالمساجد والصحراء"[2].

وقال الفيروزابادي: "محمدُ بنُ يعقوبَ الفَرَجيُّ محرَّكةً: زاهِدٌ مَشهورٌ"[3].

وقال ابنُ حجر: "الفَرَجي، بفتحتين وجيم: أبو جعفر محمد بن يعقوب **الزاهدُ المشهورُ**"[4].

تحقيق تاريخ وفاته:

قال الخطيبُ كما رأينا: "ومات بالرملة بعد سنة سبعين ومئتين".

وفي "المنتظم"، و"الوافي بالوفيات"، و"تاريخ الإسلام": سنة (٢٧١). وأضاف الذهبيُّ قائلاً: "روى الطبراني عن محمد بن يعقوب بن الفَرَجي الرملي عن إبراهيم بن المنذر فإنْ كان هو هو فقد تأخر إلى حدود الثمانين ومئتين"[5].

أقول: نعم هو مَنْ روى عنه الطبراني، والحديثُ معروفٌ عنه وهو في قضاء التمر –وسيأتي–، وقد وُلد الطبراني سنة (٢٦٠)، فلا يلزم تأخرُ وفاة الشيخ إلى (٢٨٠).

من أقواله:

١ –"التوكُّلُ: ردُّ العيشِ لما يومٍ واحدٍ واسقاط غمِّ غدٍ"[6].

٢ –"معنى الرِّضا فيه ثلاثةُ أقوالٍ: تَرْكُ الاختيارِ، وسُرورُ القلبِ بِمُرِّ القضاءِ، وإسقاطُ التَّدْبيرِ مِنَ النَّفْسِ حتى يُحْكَمَ لها عليها"[7].

---

(١) حلية الأولياء (١٠/٢٨٧).

(٢) تاريخ الإسلام (٦/٦٢٧).

(٣) القاموس المحيط ص ٢٥٨.

(٤) تبصير المُنْتبه (٣/١١٠٢).

(٥) "المنتظم" (١٢/٢٤٨)، و"الوافي بالوفيات" (٥/١٤٥)، و"تاريخ الإسلام" (٦/٦٢٧).

(٦) الكشف والبيان (٣/٣٩٣).

(٧) شُعَب الإيمان (١/٣٩٦-).

٣-"اختلفَ الناسُ في الزُّهد:

فقال قومٌ: الزُّهد في الدنيا قصرُ الأمل. وهو قول الثوري وأحمد بن حنبل وعيسى بن يونس وغيرهم.

وقال قومٌ: الزُّهد هو الثقةُ بالله مع حُبِّ الفقر. وهو قول ابن المبارك وشقيق ويوسف بن أسباط.

وقال قومٌ: الزُّهد تركُ الدينار والدرهم. وهو قول عبدالواحد بن زيد.

وقال قومٌ: هو تركُ ما فيه بدٌّ من فضول الدنيا.

وقال قومٌ: تركُ جميع ما يَشغل عن الله عز وجل. وهو قول الداراني.

وقال قومٌ: حسمُ علائق النفس.

وقال قومٌ: الزُّهد القيامُ بدلائل العلم وشواهد اليقين.

وقال قومٌ: هو عزوفُ النفس عن الدنيا بلا تكلُّف. كما قال حارثة.

وقال قومٌ: الزُّهد هو الشكرُ عند النعمة والصبر عند البلاء. وهو قول ابن عُيينة.

وقال قومٌ: مَنْ لا يغلب الحلالُ شكرَه والحرامُ صبرَه. وهو قول الزُّهري"(١).

٤-"أشرفتُ على راهبٍ في صومعته فقلت له: ما الزُّهد في الدنيا؟ فقال: تركُ ما فيها على مَنْ فيها"(٢).

٥-"مَنْ لم يغتنم الفرصةَ في وقتِ الإمكانِ ورثَ الندمَ في وقتِ عدمِ الوجود"(٣).

٦-قال أبو بكر الكتاني: سألتُ ابن الفَرَجي فقلتُ: إنَّ لله صفوةً وإن لله خيرةً، فمتى يعرف العبدُ أنه مِن صفوة الله ومِن خيرة الله؟ فقال: كيف وقعتَ بهذا؟ قلت: جرى على لساني. قال: إذا خلعَ الراحةَ، وأعطى المجهودَ في الطاعة، وأحبَّ سقوطَ المنزلة، وصار المدحُ والذمُّ عنده سواء"(٤).

٧-"رأيتُ ليلةً ذا النون التفَّ في عباءةٍ ورمى بنفسهِ طويلاً ثم كشفَ عن وجهه العباءة ونظرَ إلى السماء فقال: اللهمَّ إنك تعلمُ أنَّ كثرة استغفاري مع مقامي على الذنوب لؤمٌ. ثم غطى رأسَه طويلاً ثم

---

(١) الزُّهد الكبير ص ٧٩.

(٢) الزُّهد الكبير ص ١٤٤.

(٣) الزُّهد الكبير ص ١٩٩.

(٤) تاريخ بغداد (١/٧٥).

كشفَ عن وجهه ونظر إلى السماء وقال: اللهمَّ إنك تعلمُ أني أعلمُ أنَّ تركي الاستغفار مع علمي بسعة رحمتك عجزٌ"(١).

٨-وقال ابنُ الجوزي:" قال بنان [بنُ محمد الحمّال](٢): دخلتُ على ابن الفَرَجي(٣) [في مصر](٤) وهو في بيتٍ مملوء كتباً، فقلتُ له: اختصرْ لي من هذه الكتب كلمتين أنتفع بهما. قال: ليكن همُّك مجموعاً فيما يرضي الله عز وجل فإن اعترض عليك شيء فتبْ من وقتك"(٥). ومعنى القول: ليكن عزمُك ونيتُك وتوجُّهك دائماً إلى الأعمال التي ترضي الله. فإنْ حصلَ شيء غير ذلك -والإنسانُ غير معصوم- واعترضَ طريقَك واستقامتَك زللٌ مِن نفسٍ أو شيطان فتبْ حالاً ولا تؤجل التوبةَ والندمَ والاستغفارَ.

٩- قال في قوله تعالى: (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين): "الكفران هنا كفران النعمة"(٦).

٩-وروى عنه السُّلمي أنه قال: "رأيتُ حول أبي تراب [النخشبي] - مِنْ أصحابه - عشرين ومئة صاحبِ رَكْوَة، قُعودٌ حول الأساطين، ما ماتَ منهم على الفَقْر إلا أبو عُبيد البُسْرِيُّ، وابنُ الجلّاء"(٧).

مِن مروياته الحديثية وغيرها:

روى عنه مباشرةً وبالواسطة كثيرون، منهم:

١-الدُّولابي (ت: ٣١٠) في "الكُنى والأسماء"، ومن ذلك قوله: "حدَّثنا ابن الفَرَجي قال: حدَّثنا علي بن المديني قال: حدَّثنا المعتمر بن سليمان التيمي قال: سمعتُ شعيب بن كهتم - قال علي: وهذا

---

(١) تاريخ دمشق (٤٠٦/١٧).

(٢) زيادة من "الأربعون في شيوخ الصوفية" (٢٢). وتحرَّف الاسم في "الوافي بالوفيات" (١٤٥/٥) إلى: بيان بن أحمد! وتحرف محمد في "المنتظم" (٢٤٨/١٢) إلى أحمد.

(٣) في المطبوع: العرجي. وهو تحريف.

(٤) زيادة من "الوافي بالوفيات" (١٤٥/٥).

(٥) "التبصرة"(١٩٧/١). والنص في "الأربعون في شيوخ الصوفية" (٢٢): "يكون قصدك رضاه، فإن سقطت بين هذين فبفضل الله"!

(٦) روح البيان (٤٤٩/٤). وتحرَّف الفرجي إلى العرجي!

(٧) طبقات الصوفية للسُّلمي ص١٤٦-١٤٧.

هو أبو زياد - يحدِّث، عن أبي رجاء - قال علي: وهو العطاردي - قال: رأيتُ هذا الموضع من ابن عباس، -وأرانا بأصبعه على مجرى الدموع-، كأنه الشراك البالي من الدموع"[1].

٢-أبو عوانة (ت: ٣١٦)، روى عنه في "المستخرج" عدة روايات[2].

٣-ابن الأعرابي (ت: ٣٤٠) في كتابيه "المعجم" و"الزهد":

قال في "المعجم": "نا شاذان، نا محمد بن يعقوب الفَرَجي، نا إسحاق بن إسرائيل، نا عبدالله بن المديني، عن عبدالله بن دينار، عن عبدالله بن عمر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يُحدِّثنا بهذا الحديث عن امرأةٍ كانت ترضع صبياً لها على فرسخ جبل فقال: يا أمّاه مَنْ خلقك؟ قالت: الله . قال: مَنْ خلق أبي؟ قالت: الله قال: فمَنْ خلق السماء؟ قالت: الله قال: فمَنْ خلق الأرض؟ قالت: الله قال: فمَنْ خلق الجبل؟ قالت: الله قال: فمَنْ خلق البقر؟ قالت: الله . قال: فمَنْ خلق الغنم؟ قالت: الله . قال الطفل: إني لأسمعُ لله شأناً، فصاحَ ثم انطرحَ"[3].

وقال في "الزُّهد وصفة الزاهدين"، قال: "حدَّثنا أحمد قال: حدَّثنا محمد بن يعقوب الفَرَجي قال: حدَّثنا علي بن المديني قال: حدَّثنا معتمر عن الثوري عن أبي سلمة عن الربيع عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه". يقصدُ ما رواه قبله وهو: "حدَّثنا أحمد قال: حدَّثنا أبو داود قال: حدَّثنا عبدالرحمن بن حماد أبو ركر[4] الواسطي قال: حدَّثنا معتمر عن سفيان الثوري عن أبي سلمة عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ طلبَ عملَ الدنيا بعملِ الآخرةِ فما له في الآخرة مِنْ نصيبٍ. أبو سلمة يُقال هو المغيرة بن مسلم الخراساني"[5].

---

(١) الكُنى والأسماء (١٠٠٢٠٤). وثَمَّ مواضع أخرى.

(٢) انظر: (١٧٦٥)، (٢٦٠٠)، (٦٦٣٤).

(٣) المعجم (١٦٨٨).

(٤) كذا، وليُحرر.

(٥) الزُّهد وصفة الزاهدين (١٢٤)، (١٢٥).



٤-ابنُ حِبّان (ت: ٣٥٤) في "روضة العقلاء"، قال: "حدَّثني كامل بن مكرم حدَّثنا محمد بن يعقوب الفَرَجي حدَّثنا الوليد بن شجاع حدَّثنا عقبة بن علقمة ومبشر بن إسماعيل أنهما سألا الأوزاعي: ما إكرامُ الضيف؟ قال: طلاقة الوجه، وطيب الكلام"(١).

٥-الطبراني (ت: ٣٦٠) في "المعجم الصغير"، قال: "حدَّثنا محمد بن يعقوب الفرجي، حدَّثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدَّثنا عبد الله بن وهب، حدَّثني قرة بن عبد الرحمن، عن يزيد بن أبي حبيب، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن أبي حميد الساعدي، قال: استسلفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من رجلٍ تمر لون، فلما جاء يتقاضاه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس عندنا اليوم شيء، فإن شئتَ أخرتَ عنا حتى يأتينا شيءٌ فنقضيك، فقالَ الرجلُ: واغدراه، فتذمَّر عمر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعنا يا عمر، فإنَّ لصاحب الحق مقالاً، انطلقوا إلى خولة بنت حكيم الأنصارية فالتمسوا لنا عندها تمراً، قال: فانطلقوا، فقالت: واللهِ ما عندي إلا تمر ذخيرة، فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: خذوه فاقضوه، فلما قضوه أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: استوفيتَ؟ قال: نعم، قد أوفيتَ وأطبتَ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ خيارَ عباد الله عند الله الموفون المطيّبون.

لم يروه عن الزهري، إلا يزيد بن أبي حبيب، ولا عن يزيد، إلا قرة، تفرَّد به ابن وهب، ولا يروى عن أبي حميد، إلا بهذا الإسناد"(٢).

٦-ابنُ عدي (ت: ٣٦٥) في "الكامل"(٣).

٧-الرازي (ت: ٣٩٦) في "فضائل القرآن وتلاوته"(٤).

٨-أبو نُعيم (ت: ٤٣٠) في "حلية الأولياء"(٥)، قال في ترجمته: "وممّا أسندَ:

---

(١) روضة العقلاء ص ٢٦١.

(٢) المعجم الصغير (١٠٤٥).

(٣) انظر: (٢٧٣٢/٥).

(٤) انظر: "باب في أن القرآن مِن وراء كل تجارة لصاحبه يومَ القيامة"، و"باب في منازل أهل القرآن مِنْ الجنة".

(٥) حلية الأولياء (٢٨٩/١٠-٢٩١).



حدَّثنا سليمان بن أحمد [الطبراني] ثنا محمد بن يعقوب بن الفَرَجي الرملي ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي(١) ثنا عبدالله بن وهب ثنا قرة بن عبدالرحمن عن يزيد بن أبي حبيب عن الزُّهري عن عروة بن الزبير عن أبي حميد الساعدي قال: استسلفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل تمراً فلما جاءه يتقاضاه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس عندنا اليوم فإنْ شئتَ أخرتَ عنا حتى يأتينا فنقضيك، فقال الرجلُ: واغدراه(٢) فتذمَّر عمر فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: دعه يا عمر فإنَّ لصاحب الحق مقالاً انطلقوا إلى خولة بنت حكيم الأنصارية فالتمسوا لنا عندها تمراً فانطلقوا فقالت: واللهِ ما عندي إلا تمر ذخيرة فأخبروا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: خذوه فاقضوه، فلما قضوه أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: قد استوفيتَ؟ قال: نعم قد أوفيتَ وأطبتَ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ خيارَ عباد الله الموفون المطيبون. قال سليمان: تفرَّد به قرة عن يزيد.

حدَّثنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن إبراهيم ومحمد بن أحمد بن شبوية قالا: ثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن حكيم ثنا محمد بن يعقوب الفَرَجي ثنا محمد بن عبدالملك بن قريب الأحمر قال: حدَّثني أبي ثنا أبو معشر عن سعيد المِقْبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سرعةُ المشي تُذهِبُ بهاء المؤمنين.

أخبرنا أبو مسعود محمد بن إبراهيم بن عيسى المقدسي في كتابه ثنا محمد بن يعقوب الفرجي ثنا خالد بن يزيد ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ طلبَ العلمَ فهو في سبيل الله حتى يرجعَ.

حدَّثنا عبدالمنعم بن عمر ثنا أبو سعيد الأعرابي ثنا محمد بن يعقوب الفَرَجي ثنا علي بن المديني ثنا المعتمر بن سليمان عن سفيان الثوري عن أبي سلمة عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بشِّرْ أمتي بالسّناء والرفعة والتمكين، وأنَّ مَنْ عملَ عملَ الآخرة يريدُ به الدنيا فليس له في الآخرة مِنْ نصيب.

---

(١) في المطبوع: الجذمي.

(٢) تحرَّف في المطبوع إلى: واعذراه.

حدَّثنا محمد بن إبراهيم ثنا أحمد بن عمرو بن جابر ثنا محمد بن يعقوب الفَرَجي ثنا أحمد بن عيسى أبو طاهر ثنا ابن أبي فديك ثنا ابن أبي ذئب عن الزُّهري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلَ مكة وعلى رأسه المِغْفر".

٩-البيهقي (ت: ٤٥٨) في "السُّنن الكبرى"[١]، و"معرفة السُّنن والآثار"[٢].

١٠-الخطيبُ البغدادي (ت: ٤٦٣) في "تاريخ بغداد"، قال في ترجمة محمد بن إبراهيم بن علي: أبو بكر العطار الأصبهاني مُستملي أبي نُعيم الحافظ: "وردَ بغداد أيامَ أبي علي بن شاذان وهو شابٌّ وكتبَ عني وعلَّقتُ عنه حديثاً واحداً ذكره لي مِنْ حفظه قال: حدَّثنا أحمد بن موسى أبو بكر الحافظ قال: نبأنا أبو عمرو بن حكيم قال: نبأنا محمد بن يعقوب الفَرَجي قال: نبأنا محمد بن عبدالملك بن قريب الأصمعي قال: نبأنا أبي عن أبي معشر عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: السرعةُ في المشي تُذهب بهاءَ المؤمن. قال أبو بكر [الخطيب]: لم أسمعْ لمحمد بن الأصمعي ذكراً إلا في هذا الحديث"[٣].

وقال في ترجمة سفيان الثوري: "أخبرنا الهيتي حدَّثنا أحمد بنُ سلمان حدَّثنا سعيد بنُ مسلم بن أحمد بن مسلم بطرسوس حدَّثنا أبو جعفر بنُ الفَرَجي حدَّثنا إسحاق بنُ حفص قال: قيل لإسماعيل بن إبراهيم: كان شعبة أكثرَ علماً أو سفيان؟ فقال: ما علمُ شعبةَ عند علمِ سفيان إلا كتفلةٍ في بحرٍ"[٤].

١١-وقال الذهبي (ت: ٧٤٨): "قال محمد بن يعقوب الفَرَجي: سمعتُ علي بن المديني يقول: عليكم بكُتب الشافعي"[٥]. وهذا رواه ابنُ عساكر (ت: ٥٧١)[٦].

---

(١) انظر: (١٤١/٦).

(٢) انظر: (٣٨١٦).

(٣) تاريخ بغداد (٤١٧/١). وقال ابنُ الجوزي في "العلل المتناهية" (٧٠٨/٢): "هذا حديث لا يصح عن رسول الله"، وقال الذهبي في "الميزان" (٦٣٢/٣): "حديث منكر جداً". وما جاء في "السلسلة الضعيفة" (١٣٣/١) من احتمال كون ابن الفَرَجي هو آفته غير مُسلَّم فلم يُذكر الرجلُ بجرح.

(٤) تاريخ بغداد (١٦٥/٩). ونقله ابنُ عساكر في "تاريخ دمشق" (٢٥٦/٥٤).

(٥) سير أعلام النبلاء (٥٦/١٠) وجاء في الحاشية: "هو في "مناقب" البيهقي (٢٤٨/٢) من طريق محمد بن يعقوب الفَرَجي قال: سمعتُ محمد بن علي بن المديني، قال: قال أبي: لا تتركْ للشافعي حرفاً واحداً إلا كتبته، فإنَّ فيه معرفةً".

(٦) "تاريخ دمشق" (٣٦٩/٥١).

***

أصحابه:

روى عنه(١)، وصحبه وانتفعَ به قومٌ، منهم: أبو عمران الطبري (ت: ٣٤٤).

قال ابنُ عساكر: "أبو عمران الطبري: أحد شيوخ الصوفية، صحب أبا عبدالله ابن الجلاء بدمشق، وأبا عبدالله بن الفَرَجي(٢) بالرملة، وسكنَ بيت المقدس، وبها مات سنة أربع وأربعين وثلاث مئة.

قال أبو عمران: سمعتُ أبا عبدالله بن الجلاء يقول: سمعتُ ذا النون بن إبراهيم الإخميمي يقول: أفضلُ الأعمال أربعة: الحلم عند الغضب، والسَّخاوة في القلة، والورع في الخلوة، وصدق القول عند مَنْ تخافه أو ترجوه"(٣).

***

مقترح:

أقترحُ أنْ يقوم طالبٌ في الدراسات العليا بكتابة رسالةٍ علميةٍ تحليليةٍ نقديةٍ تستوعبُ حياة الشيخ ابن الفرَجي، وشيوخه، وتلاميذه، والراوين عنه، ومروياته، وأقواله في علوم الحديث، والرجال، والزهد والرقائق، وتُبيِّنُ أثرَ مروياته الحديثية والزُّهدية في منهجه وسلوكه.

***

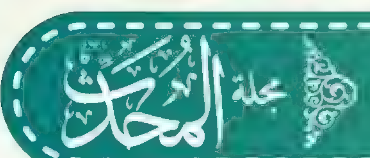


---

(١) يُجمع الرواة عنه مِن تتبُّع مروياته.

(٢) في المطبوع: العرجي. تحريف.

(٣) انظر: "تاريخ دمشق" (٦٧/٩٦).





تحقيق شرح علل الترمذي لابن رجب

دراسة منهجية مقارنة بين د. همام سعيد ود. نور الدين عتر

القسم الثاني

د. ثامر عبد المهدي حتاملة*

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا القسم الثاني من الدراسة التي أقمتها للمقارنة بين تحقيقي د. همام سعيد و د. نور الدين عتر لشرح علل الترمذي لابن رجب، وكنت قد ذكرت في المقال السابق عمل دكتور همام سعيد وميزاته في تحقيقه، واشرع الآن بتكملة المطلوب فأقول وبالله التوفيق:

بعض المؤاخذات على تحقيق د. همام:

كما هو دأب عمل البشر قد يعتريه بعض النقص والقصور إلا أن ذلك لا يقلل من شأنه، فكفى بالمرء نُبلاً أن تُعدَّ معايبه، وقد كتب أستاذ البلغاء، القاضي الفاضل: عبدالرحيم البيساني، إلى العماد الأصفهاني، معتذراً عن كلام استدركه عليه: (إنه قد وقع لي شيء، وما أدري أوقع لك أم لا؟ وها أنا أخبرك به، وذلك أني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابه في يومه، إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العِبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جلة البشر)[١].

وما أذكره هنا مبني على اجتهادي في التحليل والقراءة في التحقيق، ولا ينقص من عمل المحقق – جزاه الله خيراً– أي شيء، وهو اجتهاد قد أصيب به أو أخطئ، وهي تعقبات شكلية وليست في صلب التحقيق، والتعقبات كالآتي:

---

* الأستاذ المشارك في قسم الحديث الشريف وعلومه–كلية الإلهيات جامعة بنكول التركية، ورئيس قسم القراءات القرآنية، الجامعة الإسلامية–فرع الارتباط الدولي– مينوسوتا الأمريكية/ ايميل: samirhatemle@gmail.com

١ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى – بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، ١٩٤١م، ج١، ص١٤١، القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن، أبجد العلوم، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٢م، ص٥٢.

١. **عدم التخريج بشكل متكامل للأحاديث والآثار الواردة في الكتاب**، فالمحقق كان يذكر بعض المصادر للروايات ولا يستقصي باقي المصادر، فعلى سبيل المثال عندما خرَّج الأحاديث التي استدركها ابن رجب على الترمذي كان يكتفي بذكر مصدرٍ أو اثنين، وهذا ظاهر في تخريج الأحاديث التي استدركها ابن رجب على الترمذي[١].

٢. **عدم الحكم على الأحاديث الواردة في الكتاب**، بل كان المحقق يكتفي بذكر الحديث وتخريجه فقط كما نرى عند تخريج الأحاديث والآثار، وعدم التعقيب عليها وعلى مدى صحة نسبة هذه الآثار إلى من نُسبت إليه، فالأحاديث معظمها في السنن، ورغم ذلك لم يذكر المحقق درجتها[٢].

٣. **عدم ضبط النصوص وتشكيلها**، فقد نصَّ المحقق على أنه سوف يضبط النصوص التي قد تُشكل قراءتها على الباحثين، ولكنني لم أقف على ذلك، فالأحاديث والآثار المذكورة كلها دون تشكيل، كذلك كانت هناك أسماء كثيرة يجب ضبطها وفيها خلاف فلم أجد ضبطها عند المحقق، مثاله: "الربيع بن ضبيح، ومبارك بن فضالة"[٣] فهذه الأسماء كلها تحتاج لضبط، ومثله (قال ابن معين في موسى بن عبيدة)[٤]، فالأستاذ لم يضبط اسم عبيدة هل هو عَبِيدة أو عُبَيْدة، كذلك في الصفحة نفسها زياد البكائي، ومثله عند الحديث عن أيوب السختياني نقل فقال: (وقال أبو خشينة)[٥]، هل هو خَشِيْنة أم خُشيْنة؟، ومثله في الصفحة نفسها ابن أبي مليكة.

---

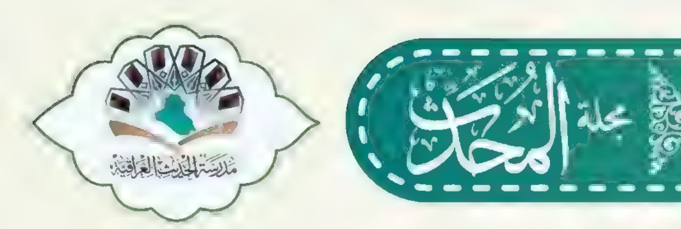
١ على سبيل المثال حديث التيمم إلى نصف الذراعين ذكر المحقق أن النسائي وأبا داود أخرجاه، واكتفى بهما، ولكن الحديث موجود كذلك عند أحمد في المسند وابن حبان وغيرهما، ينظر: ج١، ص٣٢٦، **ومثله** حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ وقال: (ومن زاد على هذا أو نقص فقد أساء أو ظلم)، وذكر المحقق رواية أبي داود له واكتفى به، ينظر: ج١، ص٣٢٥، والحديث مروي في مسند أحمد والسنن الكبرى للنسائي.

٢ ينظر: ابن رجب، شرح العلل، ط د.همام، ج١، ص٣٢٥-٣٢٦-٣٢٧٣٢٨-٣٢٩.

٣ ابن رجب، شرح العلل، ج١، ص٤٠٦.

٤ ابن رجب، شرح العلل، ج١، ص٣٧٢،

٥ المصدر نفسه، ج١، ص٤٤٥.



٤. **لم يقم د.همام بوصف المخطوطات بشكل موسع ولم يذكر أماكن وجودها.**

٥. **قلة التعقيب والاستدراك على ابن رجب في أقواله**، فهي وإن كانت موجودة إلا أنها قليلة.

القسم الثاني: تحقيق د.نور الدين عِتر لشرح ابن رجب.

بدأ د.نور الدين عِتر[١] حفظه الله العناية بهذا الكتاب أثناء تحضيره للشهادة العالِمية في الأزهر الشريف عام ١٩٦٤م، كما ذكر في بداية تقديمه للتحقيق فقال: (ويرجع عهدي بهذا الشرح إلى أمد بعيد، حيث كنتُ أفدت منه في إعداد أطروحتي عن الإمام الترمذي[٢]، فيما يتعلق بشرح مصطلحات الترمذي، وذكرتُ هذا الشرح في ضمن المراجع الأساسية التي سردتها في مقدمة مؤلفي ذاك)[٣].

عمل د.نور الدين في التحقيق ووصف نُسخ المخطوطات:

١. وضع مقدمة عامة يوضح فيها منهجه في التحقيق والشرح جاءت في قرابة خمسٍ وخمسين صفحة، ثم بدأ د.نور الدين بوصفٍ عام لشرح ابن رجب لعلل الترمذي، ومكانته بين كتب العلل.

---

١ نور الدين بن محمد بن حسن الدمشقي، ويرجع نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ولد في حلب سنة ١٩٣٧م-١٣٥٦هـ، متزوج وله أربعة من الأبناء، نشأ في أسرة علمية عريقة فقد كان جده محمد نجيب سراج الدين وخاله المحدث عبد الله سراج الدين من أهل العلم في زمنهما، درس في حلب في الثانوية الشرعية ثم انتقل بعد أن تفوق فيها لدراسة الشريعة في الازهر الشريف فتخرج منه سنة ١٩٥٨م، ثم بدأ الدراسات العليا في الحديث الشريف في الأزهر حتى تخرج سنة ١٩٦٤م وحصل على العالِمية بتقدير ممتاز، ثم عمل في جامعة دمشق أستاذاً لعلوم الحديث والتفسير حتى رُقّي إلى رتبة أستاذ عام ١٩٧٩م، له قرابة خمسين مؤلفاً في علوم الشريعة أغلبها في علم الحديث.

ينظر: المنصور، محمد عيد وفا، حوار في قضايا من علم الحديث النبوي الشريف بين د.نور الدين عتر وسلمان الندوي، دار الفارابي للمعارف، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٣، خلف، عبد العزيز، جهود نور الدين عتر في خدمة السنة، Hadis Tetkikleri Dergisi، cilt٢, ١٦,٢.

٧٥-s٧٣ ، وللباحث عبد العزيز الخلف رسالة ماجستير بعنوان: الأستاذ نور الدين عتر وجهوده في علوم الحديث، جامعة دمشق.

٢ عنوان رسالته في الدكتوراه: (طريقة الترمذي في جامعه والموازنة بينه وبين الصحيحين)، وقد وسَّع المؤلف الأطروحة وزاد فيها دراسات عن مؤلفات الترمذي، وطبعت بكتاب تحت عنوان: (الإمام الترمذي والموازنة بين الصحيحين).

٣ ابن رجب الحنبلي، شرح علل الترمذي، تحقيق: نور الدين عتر، دار الملاح للطباعة والنشر، ط١، ١٩٧٨م، ج١، ص٤١.

٢. عرَّف بالإمام الترمذي بشكل ملخص بداية العمل، ثم ما يحتويه العلل الصغير من موضوعات في علم الحديث.

٣. عرف بالعلة، ثم تصنيف العلل للترمذي، وكتابيه في العلل.

٤. عرَّف بابن رجب الحنبلي، في ترجمة متوسطة قرابة عشر صفحات.

٥. وقف على منهج ابن رجب في شرحه، وذكر ستة خصائص وميزات لشرح ابن رجب، وكانت مادة غنية للقارئ لفهم المنهج العام لابن رجب[١].

٦. ذكر المخطوطات ونُسَّاخها والتعريف بهم، وأماكنها، ونوع الخط المكتوبة فيه، فجاء وصفه وصفاً دقيقاً من أستاذ خبير، فالنسخة الأصلية موجودة في إسطنبول في مكتبة السلطان أحمد الثالث برقم ٥٣٢، وتقع في ١٥٢ ورقة، وهي بخط تلميذ ابن رجب الحنبلي وهو الحافظ الفقيه ابن اللحام علي بن محمد البعلي الدمشقي، والنسخة الثانية في المكتبة الظاهرية برقم ٤٠٥، وفيها نقص حيث تقع في ١١٢ ورقة، وهي لمحمد بن أبي بكر بن زُرَيق، والنسخة الثالثة موجودة في القاهرة في دار الكتب المصرية برقم ٤٩ مصطلح، وفيها نقص حيث تقع في ١٣٦ ورقة، وتعود لمحمد بم محمد البكري المالكي الخليلي، وقد أشار د.نور الدين عتر إلى أن هذه النسخة من أحسن النُسخ خطًّاً، ولكنها أسوأها تصحيحاً وضبطاً، وكأن صاحبها ليس بمحدث[٢].

ميزات تحقيق د.نور الدين:

١. جاء التحقيق من أستاذ له خبرة علمية وتدريسية وتحقيق قبل أن يشرع بهذا التحقيق، فقد عمل الأستاذ في رسالته للدكتوراه حول الترمذي والموازنة بينه وبين الصحيحين.

---

١ ابن رجب ، شرح العلل، ج١، ص٤١-٤٢.

٢ ينظر: ابن رجب، شرح العلل، ط د.نور الدين، ج١، ص٤٨.

٢. كان للأستاذ عدة كتب حديثية علمية كان يحيل عليها للاستزادة في بعض الموضوعات، كرسالته للدكتوراه، وكتابه منهج النقد في علوم الحديث، ورغم ما كان يثري المادة من تعليقات أثناء تحقيقه كذلك كان يحيل القارئ على كتبه الأخرى خوفاً من الإطالة في التحقيق والتعليق.

٣. وصف المخطوطات وأمكنة وجودها واعتماده كذلك على ثلاث نسخ، الأولى وهي الأكمل، والثانية فيها نقص، والثالثة كذلك، وتعداد ميزاتها والفروق بينها.

٤. ضبط النص ضبطاً صحيحاً يصل بالقارئ إلى الفهم الصحيح، وهذا ظاهر في التحقيق، على سبيل المثال ضبطه للأحاديث التي ذكرها ابن رجب تعقيباً على الترمذي، كذلك أسماء الأعلام الواردة[١].

٥. جاء تحقيق شرح العلل استكمالاً لمشروع د.نور الدين عتر في خدمة سنن الترمذي، فشرح العلل هو قسم من شرح ابن رجب لسنن الترمذي، فقد ذكر د.نور الدين أن تحقيقه جاء ليستكمل خدمته لسنن الترمذي[٢].

٦. ذكره منهج التحقيق بشكل دقيق، وما هي حدود تدخل المحقق في النص، وكيفية بيان ذلك بالأشكال والرسوم التوضيحية كالأقواس والنجوم والمعقوفتين[٣].

٧. تميز تحقيق د.نور الدين بالتعليقات فجاء تحقيقه كشرح لشرح ابن رجب، ولكنه بشكل مختصر لا يمل القارئ أثناء مطالعته للكتاب، فالحاشية جاءت لجمال الكتاب وقراءته بشكل أفضل، زكما ذكر الزمخشري: (وحلية الدفاتر الحلق في حواشيها. والمغاربة يقولون: الدرر في الطرر، وقيل لأبي بكر الخوارزمي عند موته: ما تشتهي؟ قال: النظر في حواشي الكتب)[٤].

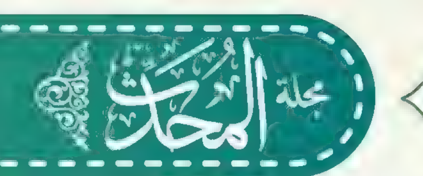
---

١ كما في ضبطه للأحاديث منها: ابتداء ج١، من ص٤ حتى ص ٢٠.

٢ ابن رجب، شرح العلل، ط د.نور الدين، ج١، ص٩.

٣ ابن رجب، شرح العلل، ج١، ص٤٩ (مقدمة التحقيق).

٤ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ربيع الأبرار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ج٤، ص٤١.

٨. بيان حال الأحاديث ودرجتها من حيث القبول والرد، ومناقشة الأحكام أحياناً، فعند ذكره لحديث (من غسّل ميتاً فليتغسل..) الحديث، ذكر في الحاشية تحسين الترمذي له، ثم عقَّب بأقوال العلماء الذين انتقدوا الترمذي في تحسينه للحديث[1].

٩. استكمال ما كان يحيل عليه ابن رجب لشرحه على سنن الترمذي، فقد كفى المحققُ القرَّاءَ هذه الإحالات وكان يذكر في التعليق ما أراده ابن رجب، فعلى سبيل المثال: في حديث الترمذي (جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة من غير خوف..) الحديث، ذكر المحقق د.نور الدين في الحاشية ما يغني القارئ من حال الحديث ودرجته، ثم أقوال العلماء فيه، ومذاهبهم، وما هو المتفق عليه دون جملة (من غير خوف ولا مطر) فالحديث عند الشيخين دون هذه الزيادة[2].

المؤاخذات على تحقيق د.نور الدين عِتر:

بعد قراءتي في التحقيقين لم أجد مؤاخذات على د.نور الدين سوى بعض المؤاخذات الشكلية التي لا تنقص من مكانة العمل وقيمته السامية، والتي لا ينكر حجمها ومكانتها سوى جاحد، والمؤاخذات كالآتي:

١. الحاشية كانت طويلة حيث أخذ التعليق والتحشية كثيراً من حجم الكتاب الأصلي، رغم أن المحقق ذكر أنه لن يطيل بل سيحيل.

٢. افتقد الشرح تقدمة مشابهة لتقدمة د.همام، يبين فيها د.نور الدين ما يحتاجه القارئ من لمحة عامة عن علم العلل، ومصادرها، ومصادر ابن رجب في شرحه وما يعين القارئ على فهم مصطلحات الكتاب أحياناً، وهذا أمر اجتهادي برأيي قد يؤخذ كنقص أو لا.

٣. مقدمة الكتاب والتحقيق جاءت بترقيم مستقل حتى ٥٤ صفحة، ثم بدأ الترقيم من جديد للمتن المحقق، فعند إحالة الباحثين قد يحصل خلط في ذلك، فحبذا لو كان الترقيم متسلسلا.

---

١ ابن رجب، شرح العلل، ج١، ص٩.

٢ ينظر: ابن رجب، شرح العلل، ج١، ص٥.





٤. طبعة الكتاب المتداولة قديمة، وبحاجة إلى إعادة طبع ونشر يوازي حجم الخدمة التي قام بها المحقق للكتاب.

وأخيراً أقف مع مقارنة عامة بين التحقيقين، فبعد هذا التطواف بين هؤلاء العلماء والأساتذة أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال جهدي واجتهادي:

١. جاء العلل الصغير للترمذي كأول مصنف من مصنفات علوم الحديث، وضعه الإمام الترمذي في زمنه حيث ذكر فيه أكثر من عشرة علوم من علوم الحديث، وكان هذا الكتاب كمقدمة لسننه.

٢. قام ابن رجب بخدمة جليلة عظيمة للإمام الترمذي في عدة مشاريع، منها: شرح سنن الترمذي، ثم شرح العلل الصغير الذي يُعدُّ قطعة من شرح السنن، حيث ذهب معظم شرح السنن، ولكن وصلنا شرح العلل كاملاً.

٣. تميز شرح ابن رجب للعلل الصغير بكثير من الميزات، من أهمها: مجيء الكتاب كمصنَّفٍ في علم العلل في عملٍ نظري تطبيقي، حيث كتب كثيراً من القواعد في علم العلل والتي لم يذكرها قبله العلماء في هذا الميدان، إنما كانوا يمارسونها في تطبيقاتهم، فسهَّل ابن رجب على طلبة العلم هذا العلم الصعب.

٤. جاء تحقيق د.همام سعيد لشرح ابن رجب من أوائل التحقيقات، وتميز بمقدمة علم العلل التي أصبحت من أهم الكتب في ميدان علم العلل لفترة طويلة.

٥. تميز تحقيق د.همام بأنه جاء في رسالة أكاديمية اطَّلع عليها عدة أساتذة وراجعوها ونقَّحوها قبل إخراجها، مما زاد الثقة فيها.

٦. تميز د.همام بعقد مبحث بيَّن فيه بعض آراء ابن رجب مقارنة بآراء غيره من العلماء، كما في العنعنة والحديث المرسل وزيادة الثقة.

٧. تميز تحقيق د.نور الدين عِتر ببصمة الأستاذ الخبير صاحب الباع في التحقيق والتدريس، حيث ظهر ذلك في تحقيقه وتأليفه قبل التحقيق، فأحال على كتبه الأخرى.

٨. مما امتاز به تحقيق د.نور الدين وجود الحاشية على شرح ابن رجب، حيث كانت هذه الحاشية رغم طولها غنية ومفيدة للقارئ، فيمكن أن كتفي القارئ بها عن مراجعة المصادر الأخرى في عدة أمور منها: ضبط النصوص، درجة الأحاديث، اختلاف العلماء في مسألة ما، أو حكم ما.

٩. تميَّز د.نور الدين بإغنائه القارئ عن شرح ابن رجب في الإحالات عليه، حيث كان يثبت للقارئ ما يحيل عليه من خلال اجتهاده وبيان ما يوجد في النص من أحكام وما أُحيل عليه من زوائد وفوائد.

١٠. ولعلي أسجل أهم فارق بينهما: تميز د.همام بمقدمته، وتميز د.نور الدين بحاشيته وخدمته للنص بشكل أكبر وأدق.

والحمد لله رب العالمين.





منهج الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتابه العلل

أ.م.د. ماجد حميد عبد الجحيشي

عضو الهيئة الإدارية لمدرسة الحديث العراقية

رئيس قسم اللغة العربية في كلية العلوم الإسلامية — الجامعة العراقية

تقدمة:

لا يمكن معرفة منهج أي مؤلف في كتابه إلا من خلال قراءة الكتاب قراءة متأنية يغوص فيها الباحث ويعيش مع فكرة المؤلف، يدون خلالها الملاحظات، ويضع العناوين المدعومة بالأمثلة التي يمكن أن تكشف، وتوضح للقارئ حقيقة ذلك المنهج .

ولسعة المادة العلمية التي يتألف منها كتاب العلل لابن أبي حاتم، ولضيق الوقت في هذا المقال فإن تحقيق ذلك متعذر. لذا سوف اقتصر على الكلام عن جانب واحد من هذا المنهج ألا وهو: **(طريقة المؤلف وشيوخه في الكلام على الحديث وتعليله)** .

وقد وقفت من خلال دراستي لبعض أحاديث الكتاب على عدة طرق لهم في الكلام على الحديث، وتعليله، وسأذكر أهم ما وقفت عليه منها، من خلال ما تبين لي من الدراسة.

فأقول مستعينا بالله:

أولاً: التعريف بان أبي حاتم: (اسمه، ونسبه، ومولده، ووفاته)(١)

اسمه، ونسبه:

---

(١) ستكون ترجمته موجزة، لكثرة من ترجم له، فقد ترجم له د.رفعت فوزي في كتابه (ابن أبي حاتم وأثره في علم الحديث)،ود. سعد الحميد في (مقدمة تحقيقه العلل) وغيرهما، وكذا سيكون الحال في ترجمة أبي حاتم، وأبي زرعة.

هو الإمام ابن الإمام، حافظ الرّيّ وابن حافظها، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران، أبو محمد التميمي الحنظلي(١) الرَّازِيّ (٢)، المشهور بابن أبي حاتم (٣).

مولده:

ولد سنة أربعين ومائتين (٢٤٠هـ)، وقيل إحدى وأَربعين ومائتين (٤). والأول أرجح إذ نص عليه ابن أبي حاتم بنفسه. قال الخليل الحافظ: (سمعت القاسم بن علقمة يقول: سمعت ابن أبي حاتم يقول ولدت سنة أربعين ومائتين) (٥).

وفاته:

توفي عبد الرحمن بن أبي حاتم في المحرم من سنة سبع وعشرين وثلاث مائة (٣٢٧هـ) بالري وله بضع وثمانون سنة (٦).

---

(١) قال أبو الفضل بن طاهر المقدسي (الْحَنْظَلِي والحنظلي: الأول منسوب إِلَى القبيلة وفيهم كثرة. الثَّانِي منسوب إلى درب حنظلة بالريِّ منهم أَبو حاتم محمَّد بن إِدريس بن المنذر الحنظلي وابنه عبد الرَّحمن بن أبي حاتم وداره ومسجده فِي هَذَا الدَّرْب رأيته ودخلته سمعت أبا علي الشافعي يقول أنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد البزاز في المسجد الحرام ثنا أبو الحسين علي بن إبراهيم الرازي سمعت أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي يقول قال أبي: نحن من موالي تميم بن حنظلة من غطفان قال المقدسي: والاعتماد على هذا أولى والله أعلم). ينظر: الانساب المتفقة، المقدسي(ص:٥٧)، والانساب للسمعاني(٢/٢٧٩-٢٨٠)، ولب اللباب في تحرير الأنساب، السيوطي (ص: ٨٤)

(٢) الرَّازِيّ: منسوب إلى بلدة الرّيّ، مدينة من بلاد الديلم وفيهم كثرة من أَئمَّة الحدِيث. ينظر: الانساب المتفقة (ص: ٥٨)، ولب اللباب في تحرير الأنساب، السيوطي (ص: ١١٢)

(٣) ينظر ترجمته: الإرشاد، للخليلي(٢/٦٨٣)، وطبقات الحنابلة(٢/٥٥)، وتاريخ دمشق(٣٥/٣٥٧)، والتدوين في أخبار قزوين(٣/١٥٣)، وسير أعلام النبلاء(١٣/٢٦٣)، وتاريخ الإسلام(٢٤/٢٠٦)، وتذكرة الحفاظ(٣/٣٤)، ومرآة الجنان(٢/٢١٨)، والبداية والنهاية(١١/١٩١)، وطبقات الشافعية(٣/٣٢٤)، وهدية العارفين(١/٥١٣)، وابن أبي حاتم وأثره في علوم الحديث، رفعت فوزي (ص: ٤٠-٤٨)، ومقدمة تحقيق علل الحديث، سعد الحميد (ص: ١٥٧).

(٤) ينظر: الإرشاد، للخليلي(٢/٦٨٣)، وسير أعلام النبلاء(١٣/٢٦٣).

(٥) التدوين في أخبار قزوين(٣/١٥٥).

(٦) ينظر: الوافي بالوفيات(١٨/١٣٦)، ومرآة الجنان(٢/٢١٨)، والبداية والنهاية(١١/١٩١).



وبوفاة هذا الإمام ختمت السنة بالرَّيِّ كما قال الخليلي [١].

ثانيًا: (منهج المؤلف في الكتاب) [٢]

طريقتهم في الكلام على الحديث وتعليله:

لا شك أن معرفة طريقة هؤلاء الأئمَّة في تعليل الحديث هو بداية الطريق لمن أراد أن يخوض في غمار هذا العلم الدقيق؛ وذلك أن هذا العلم لا تكفي فيه الدراسة النظرية الخالية من التطبيق بل لا يمكن أن يفهم الطالب كثيرا من جوانب هذا العلم إلا بعد دراسته المفصلة للحديث، ومعرفة كيفية الترجيح بين الأوجه من خلال ما ذكره هؤلاء الأئمَّة [٣].

ولهم في ذلك طرقٌ عدة، ومما وقفت عليه ما يأتي:

١. قد يعلون الحديث لأنه ليس في كتب الراوي.

ومثاله: قال ابن أبي حاتم: (وسألت أبي عن حديث رواه ابن عيينة، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن حسان بن بلال، عن عمار، عن النبي ﷺ ؛ في تخليل اللحية ؟

قال أبي: لم يحدث بهذا أحد سوى ابن عيينة، عن ابن أبي عروبة. قلت: هو صحيح؟

قال: لو كان صحيحًا، لكان في مصنفات ابن أبي عروبة، ولم يذكر ابن عيينة في هذا الحديث الخبر؛ وهذا أيضًا مما يوهّنه)[٤].

٢. **كثيرا ما يطلقون العبارات المختصرة جدًا لبيان حال وجه من الأوجه** . فقد يقولون: هذا خطأ، أو هذا وهم، أو هذا أشبه، أو هذا منكر، ولا يذكرون كيفية وقوع هذا الخطأ.

ومثاله: قال ابن أبي حاتم: (وسئل أبو زرعة عن حديث رواه أبو غسان النهدي، عن عبد السلام بن حرب، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي مسلم، عن أبي شريح، عن سلمان، عن النبي ﷺ؛ في المسح على الخفين والعمامة .

---

(١) الإرشاد(٢/٦٨٣) .

(٢) ينظر هذا المنهج بشيء من التفصيل: " علل الحديث من المسألة رقم (٥٠١) إلى المسألة رقم (٦٥٢) " دراسة وتحقيق، د. محمد بن تركي بن سليمان . فقد خصص الباحث الفصل الثالث من أطروحته للكلام على منهجية المؤلف في الكتاب، فأفاد، وأجاد .

(٣) المصدر نفسه.

(٤) علل الحديث: المسألة رقم (٦٠) .

ورواه شعيب بن إسحاق، عن سعيد بن أبي عروبة، عن داود الكندي، عن محمد ابن زيد، عن أبي شريح، عن أبي مسلم، عن سلمان، عن النبي ﷺ ؛ في المسح؟

فقال أبو زرعة: هذا حديث وهم فيه عبدالسلام بن حرب)[1].

٣. **وأحيانا يفصلون قليلاً، فيذكرون الوجه الراجح في مقابل الوجه المرجوح**، كأن يسألهم المؤلف عن وجه، فيقولون: هذا خطأ، أو منكر إنما هو فلان، عن فلان كذا.

ومثاله: قال ابن أبي حاتم: (وسألت أبي عن حديث رواه محمد بن بشر، عن ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس: أمر بلال أن يشفع الأذان، ويوتر الإقامة؟

قال أبي: هذا خطأ؛ إنما هو: عن سعيد، عن قتادة: أن أنساً كان يؤذن مثنى مثنى)[2].

٤. **وفي بعض الأحيان يرجحون وجهاً من الأوجه، ولكنهم يتوقفون في تحديد مصدر الخطأ ممن هو.**

ومثاله: قال ابن أبي حاتم: (وسألت أبي عن حديث رواه عباد بن العوام، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك: أن أم سليم حاضت بعد ما طافت يوم النحر، فأمرها رسول الله ﷺأن تنفر؟ فقال أبي: هذا خطأ؛ إنما هو كما رواه الدستوائي، عن قتادة، عن عكرمة: أن أم سليم حاضت ....

قلت لأبي: الخطأ ممن هو؟ قال: لا أدري، من عباد هو، أو من سعيد؟)[3].

٥. **وقد يعلون الحديث، ويبينون مصدر العلة .**

ومثاله: قال ابن أبي حاتم: (وسألت أبي عن حديث رواه محمد بن مصفى؛ قال: حدثنا عمر بن صالح الأزدي، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أم أيمن الأنصارية: أن رسول الله ﷺ زوج ابنته فاطمة علي بن أبي طالب، وأمره ألا يدخل على أهله حتى يجيئه، فجاء رسول الله ﷺ حتى وقف بالباب، فسلم واستأذن، فقال: أثم أخي...، فذكر الحديث .

قال أبي: هذا حديث منكر، وعمر ضعيف الحديث .

(١) علل الحديث : المسألة رقم (١٥٧) .

(٢) المصدر نفسه المسألة رقم (٢٦٨) و(١١٤٨) .

(٣) المصدر نفسه المسألة رقم (٨٠٩) و(١٥٠٦) .

قال أبي: عمر هذا يحدث عن أبي جمرة أحاديث بواطيل) [١].

٦. **وقد يذكرون أوجه الاختلاف، ولا يذكرون الراجح منها**، ولعلهم لم يتبين لهم فيها شيء.

ومثاله: قال ابن أبي حاتم: (وسألت أبي عن حديث رواه عنبسة بن عبد الواحد، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس؛ قال: إياكم ومجالس الطرق، فإن كان لا محالة فأدوا الطريق حقه ... ؟ قال أبي: حدثناه يزيد بن أبي يزيد القطان، عن عنبسة .

ورواه أبان، عن قتادة؛ أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال ... .

قلت لأبي: أيهما أصح ؟

قال: إن كان ذلك محفوظ فهو حسن، وما أخوفني أن يكون قد أفسد حديث أبان ذلك الحديث) [٢].

٧. **وقد يرجحون وجها على آخر بوجه من وجوه الترجيح المعتبرة فمن ذلك**[٣] :

أ. **الترجيح بالأحفظ .**

ومثاله: قال ابن أبي حاتم: (وسألت أبي وأبا زرعة عن حديث رواه أبان العطار، عن قتادة، عن أبي سعيد من أزد شنوءة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: (أوصاني خليلي بثلاث...).

قلت: ورواه سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة .

قلت لهما: فأيهما الصحيح؟ فقال أبي وأبو زرعة: سعيدٌ أحفظهم) [٤].

ب. **الترجيح بالأكثر، أو بوجود المتابع .**

ومثاله: قال ابن أبي حاتم: (وسألت أبي وأبا زرعة عن حديث رواه يحيى بن سعيد، ووكيعٌ، وابن المبارك:

فأما يحيى، وابن المبارك، وشبابة، فإنهم قالوا: عن شعبة، عن قتادة، عن أبي أيوب، عن جويرية: أنه دخل عليها وهي صائمة يوم الجمعة، فقال: أصمت أمس؟، قالت: لا ... وذكر الحديث .

---

(١) المصدر نفسه المسألة رقم (١٢٤١) .

(٢) علل الحديث المسألة رقم (٢٢٧٢) .

(٣) ينظر: القرائن وأثرها في الترجيح (اطروحة دكتوراه)، للأخ أحمد مظهر عباس (ص: ٩٨ وما بعدها) .

(٤) المصدر السابق المسألة رقم (٢٩٧)، والمسألة رقم (٣٠٢) .

وأما وكيع فقال: عن شعبة، عن قتادة، عن أبي أيوب: أن النبي ﷺ دخل على جويرية.

وروى هذا الحديث سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن عبد الله ابن عمرو: أن النبي ﷺ دخل على جويرية .

ورواه همام، فقال: عن قتادة، عن أبي أيوب، عن جويرية:

أن النبي ﷺ دخل عليها. تابع شعبة .

وروى هدبة مرةً، فقال: عن همام، عن قتادة؛ قال: حدثنا صاحبٌ لنا عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ نهى عن صوم يوم الجمعة، إلا أن يصوموا يوما قبله، أو يوما بعده.

قال أبو محمد: ورواه سعيد بن بشير فقال: عن قتادة، عن عياش بن عبد الله، عن أبي قتادة: أن النبي ﷺ نهى عن صوم يوم الجمعة فردا؟

وقال أبي: كلها صحاحٌ، ما خلا حديث سعيد بن بشير، فإنما هو: عياش، عن أبي قتادة العدوي، قوله.

وإنما قلنا: إنها صحاح كلها؛ لأن شعبة قد تابع هماماً .

فأما من قال: قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن عبد الله بن عمرو: فإن ابن أبي عروبة حافظٌ لحديث قتادة، وقال: تابعني عليه مطر)[1].

ج. وقد يكون بذكر أن أحد الرواة أثبت من الآخر في شيخ معين .

ومثاله: قال ابن أبي حاتم: (وسألت أبي عن حديث رواه عبد الأعلى، عن سعيد، عن قتادة، عن سليمان اليشكري، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: ((تسموا باسمي، ولا تكتنوا بكنيتي؟)) .

قال أبي: رواه شعبة، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر، عن النبي ﷺ. قلت: أيهما أشبه؟ قال: سعيد بن أبي عروبة لحديث قتادة أحفظ)[2].

د . وقد يكون بتصحيح جميع الوجوه المسؤول عنها.

---

(١) علل الحديث: المسألة رقم (٦٨٤) .

(٢) المصدر نفسه: المسألة رقم (٢٢٥١) .

ومثاله: قال ابن أبي حاتم: (وسألت أبي عن حديث رواه سعيد ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن خلاس، عن أبي رافع، عن أبي هريرة، عن النبيﷺ : فيمن أدرك من صلاة الصبح ركعةً قبل أن تطلع الشمس، فطلعت الشمس، فليصلي إليها أخرى.

قلت له: ما حال هذا الحديث؟

قال أبي: هذا قد روى هذا الحديث معاذ بن هشام، عن أبيه، عن قتادة، عن عزرة بن تميم، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ .

ورواه همام بن يحيى، عن قتادة، عن النضر بن أنس، عن بشير بن نهيك، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، مثله.

قال أبي: أحسب الثلاثة كلها صحاحٌ ، وقتادة كان واسع الحديث، وأحفظهم: سعيد بن أبي عروبة قبل أن يختلط، ثم هشامٌ، ثم همامٌ) [1].

٨. كثيراً ما يعلون الحديث بتفرد راويه أو مخالفته للحفاظ .

ومن الأمثلة على التفرد مع المخالفة: قال ابن أبي حاتم: (وسألت أبي عن حديث رواه سعيد بن بشير، عن قتادة، عن أنس: أن النبي ﷺ اتخذ خاتما من فضة، ونقش عليه: محمد رسول الله، فكان يلبسه في شماله، ولبس أبو بكر وعمر وعثمان بعده؟

قال أبي: أما قوله: ((اتَّخَذَ خاتمًا مِنْ فضَّة، ونقَشَ عَلَيْهِ: محمَّدٌ ...)) فهو صحيح عن النبي ﷺ.

وأما قوله: ((فكان يلبسه في شماله))، فلا أعلم أحدا رواه، إلا ماروه عباد بن العوام، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ.

وروى بعضهم عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن النبي ﷺ .

والحفاظ ترويه عن سعيد، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ ؛ لا يقولون: إنه لبس في يساره) [2].

٩. وقد يكون إعلالهم للحديث بالاختلاف في تحديد اسم الراوي.

---

(١) المصدر نفسه: المسألة رقم (٢٢٨) .

(٢) علل الحديث المسألة رقم (١٤٥١) .

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في المسألة رقم (٧٧١) من الاختلاف في تحديد اسم (عبد الرحمن بن مسلمة) هل هو: ابن مسلمة، أو ابن سلمة، أو ابن المنهال بن سلمة، أو ابن أبي المنهال، أو ابن أبي سلمة ...الخ (١).

١٠. **أحيانًا قد يكتفي شيوخه في الإجابة بذكر الوجه الراجح عن الصحابي فقط**، فيقولون الصواب عن فلان (أحد الصحابة)، وهذا في الغالب إذا كان الاختلاف في تحديد اسم الصحابي، ولا يذكرون الإسناد إليه (٢).

ومثاله: قال ابن أبي حاتم: (وسألت أبي وأبا زرعة عن حديث رواه سعيد بن أبي عروبة، وأبان؛ فقالا: عن قتادة، عن الحسن، عن عقبة بن عامر.

قال أبو محمد: ورواه همام، وهشام الدستوائي، وحماد بن سلمة وسعيد بن بشير؛ فقالوا: عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة، عن النبي ﷺ قال: إذا زوج الوليان، فهو للأول؟

فقالا: عن سمرة، عن النبي ﷺ: أصح؛ لأن ابن أبي عروبة حدث به قديما فقال: عن سمرة، وبأخرة، شك فيه).

١١. **في بعض الأحيان يكون ترجيح أبي حاتم مخالفا لترجيح أبي زرعة في المسألة الواحدة.**

ومثاله: قال ابن أبي حاتم: (وسألت أبي وأبا زرعة عن حديثٍ رواه سعيد بن أبي عروبة، وعمران القطان، عن قتادة، عن أنس: أن النبي ﷺ كان على أحد فرجف بهم، فقال النبي ﷺ: اثبت حراء؛ فإن عليك نبي وصديق وشهيدان ؟

فقال أبي: قد خالفهما سليمان التيمي؛ رواه ابنه عنه، عن قتادة، عن [أبي غلاب، عن بعض أصحاب النبي ﷺ، عن النبي ﷺ .

قال أبي: هذا أشبه بالصواب، وإن كان سعيد حافظا، إلا أن يكون عند قتادة الإسنادين جميعا .

قال أبو زرعة: سعيد بن أبي عروبة أحفظ من التيمي.

قلت: فذاك الصحيح ؟ قال: أجل)(٣).

---

(١) ينظر: المصدر نفسه (٣/١٥١) .

(٢) المصدر نفسه المسألة رقم (١٢١٠) .

(٣) علل الحديث المسألة رقم (٢٦٤٩) .



١٢. وقد يرى أبو حاتم أو أبو زرعة، ترجيح وجه من الأوجه في موضع، ويتوقف الأخر فلا يرجح.

ومثاله: قال ابن أبي حاتم: (وسألت أبي وأبا زرعة عن حديث رواه روح بن عبادة، عن سعيد، عن مطر، عن بكر بن عبد الله، عن أبي رافع، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ: أفطر الحاجم والمحجوم؟ فقال أبي: رواه هشام بن عمّار، عن شعيب بن إسحاق .

ورواه عبد الوهاب الخفاف، عن سعيد، عن أبي مالك، عن ابن بريدة، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ . قال أبي: كأن حديث أبي رافع أشبه؛ لأنه رواه حميد الطويل، عن بكر بن عبدالله، عن أبي رافع، عن أبي موسى، موقوفاً .

قال أبي: ولا أعرف من البصريين أحدا كنيته أبو مالك من القدماء، إلا عبيدالله بن الأخنس.

قال أبو زرعة: رواه شعبة، عن قتادة، عن أبي رافع، عن أبي موسى، موقوفاً؛ فكأن حديث أبي رافع أشبه .قلت: موقوف أو مرفوع ؟ فسكت)[١].

١٣. **قد يرجحون المتصل على المرسل، أو المرفوع على الموقوف أو العكس** بحسب القرائن التي تقوي أحد الوجهين .

ومثاله: وسمعت أبا زرعة يقول في حديث رواه سعيد، عن قتادة، عن معاذة، عن عائشة: مروا أزواجكن أن يغسلوا عنهم أثر الغائط والبول؛ فإني أستحييهم، وكان رسول الله ﷺ يفعله.

وقلت لأبي زرعة: إن شعبة يروي عن يزيد الرشك، عن معاذة، عن عائشة؛ موقوفاً، وأسنده قتادة. فأيهما أصح ؟

قال: حديث قتادة مرفوع أصح، وقتادة أحفظ، ويزيد الرشك ليس به بأس)[٢].

١٤. **في أثناء التتبع لأقواله وجدت أنها منصبة – غالبا– في إعلال الأسانيد**، غير أنه في بعض الأحيان تكون في إعلال السند والمتن معاً .

---

(١) المصدر نفسه المسألة رقم (٦٨٢) .

(٢) المصدر نفسه المسألة رقم (٩١) .

ومثاله: قال ابن أبي حاتم: (وسألت أبي عن حديث رواه ابن أبي بزة، عن الحكم بن عبدالله البزاز البصري، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن أنسٍ، عن النبي ﷺ قال: من لقي أخاه المسلم بما يحب ليسره به، سره الله يوم القيامة ؟ قال أبي: هذا حديثٌ موضوعٌ، والحكم لا أعرفه)[1].

والحمد لله رب العالمين



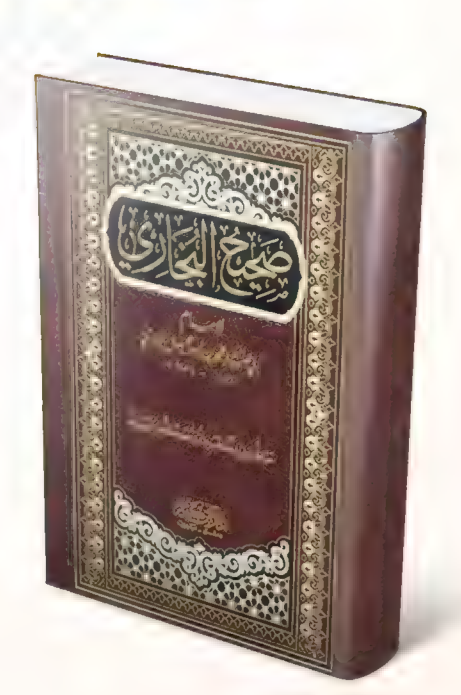
(١) المصدر نفسه المسألة (٢٤٣٣) .



إعظام الإمام البخاري

وصحيحه





البيان لعذر الإمام البخاري في إخراجه لعمران بن حطّان

د. نبيل بلهي

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد و على آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد: فقد أكثر أعداء البخاري من الطعن فيه بسبب إخراجه في صحيحه لعمران بن حِطَّان الخارجيِّ، وزعموا أن البخاري ارتكب جرمًا شنيعًا لا يغتفر، إذْ شرَّفَ هذا الخارجيَّ الداعية، الذي مدح قاتل عليٍّ بن أبي طالب-رضي الله عنه-، وأبدى سروره بتلك الجريمة، ونسبَهُ بعضهم إلى تعمُّد الإساءة إلى عليٍّ بن أبي طالب وأهل البيت عموما -رضي الله عنهم أجمعين-، كقول صاحب كتاب «كشف المتواري في صحيح البخاري» (٣/ ٣٨): "عمران بن حطان كان من المبغضين للإمام، وكيف بالبخاري يروي في صحيحه عن هذا الخارجي؟! **ألا يدلنا أن جميع هؤلاء كانوا من المبغضين للإمام؟!**".

وفي هذه الأسطر أبيّن العذر العلميَّ، والمسوغ الموضوعيَّ، لإخراج البخاري لحديث من طريق هذا الرجل المبتدع، وأوضح أنها قضية علمية تتعلق بالصناعة الإسنادية لا غير.

أولا) ذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ البخاري روى عن عمران **بعد توبَتِهِ** من بدعة الخروج، فقد ذكر بعض أهل التاريخ أنَّه تاب من بدعته، ومعلوم أنَّ من تاب من كفره ثم أدَّى الحديث يُقْبَلُ منه، فكيف بمن تاب من البدعة، فيقبل منه الأداء من باب أولى؛ لأنَّ العدالة شرط في الأداء وليس في التحمُّل.

قال ابن حجر في «الإصابة» (٥/ ٢٣٣): "واعتذروا عنه بأنه إنَّما أخرج عنه لكونه تابَ، فقد ذكر المعافى في تاريخ الموصل، عن محمد بن بشر العبديّ، قال: ما مات عمران بن حطّان حتى رجع عن رأي الخوارج". وقال ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٨/ ١٢٨): "هذا أحسنُ ما يعتذرُ به عن تخريج البخاري له".

وأشار إلى هذا العذر ذهبيُّ العصر عبد الرحمن المعلمي في «التنكيل» (٢/ ٦٥٤)، فقال: "وأما عِمران وحَريز فقد اتَّفق أهل العلم على أنَّهما من أصدق الناس في الرواية، وقد جاء **أنهما رَجَعَا عن بدعتَيْهِمَا**".



وذكر بعض أهل العلم أن البخاري روى له ما تحمَّله **قبل ركوبِهَ مذهب الخوارج**، ولكنَّه **اعتذار ضـعيفٌ**، قال ابن حجر في «هدي السـاري» (ص٤٣٣): "ورأيتُ بعض الأئمة يزعم أن البخاري إنَّما أخرج له ما حمل عنه قبل أن يرى رأي الخوارج، وليس ذلك الاعتذار بقويٍّ؛ لأنَّ يحيى بن أبي كثير إنَّما سمع منه باليمامة في حال هروبه من الحجاج".

ثانيا) أخرج البخاري لعمران بن حطَّان حديثين؛ لأنَّه متأكدٌ من صـدقه في ذينك الحديثين، جريا على قاعدته في الرواية عن المبتدعة جميعًا، وهي اعتبار **صـــدق اللهجة**، لذلك أخرج عن جمع من أهل البدع، وفيهم الغلاة والدُّعاة إلى بدعتهم، ليس تزكية لهم، ولا إقرارًا لبدعتهم، ولكن لمصـــلحة وغرضٍ علمي، قال ابن حجر في «انتقاض الاعتراض» (٢/ ٥٣٢): "وإنَّما أخرج له البخاريّ على قاعدته في تخريج أحاديث المبتدع إذا كان صادق اللَّهجة في الرِّواية متديِّنًا".

وقد شـــهد النقَّاد بصـــدْق لهجته، فهذا تلميذه قتادة يقول: "كان عِمْران بن حطان لايتَّهم في الحديث".[1] فاحتمال الكذب هنا منتفٍ؛ لأن الخوارج يكفِّرون بكبيرة الكذِبِ على رسول الله ﷺ، فلا يتصـــوَّر أن يقعوا فيه، قال الإمام أبو داود: "ليس في أهل الأهواء أصـــحُّ حديثًا من الخوارج" ثم ذكر عمران بن حطان، وأبا حسَّان الأعرج.[2]

ولا يعني هذا أن البخاري يقرُّ عمران بن حطان على مدحه قاتل علي بن أبي طالب، فقد أخرج لــ: **عبَّاد بن يعقوب الرَّوَاجِني**، وكان من الغلاة في عليِّ بن أبي طالب، يزعم أنه هو الذي حفر البحر، وكان يَشْـتُمُ ذا النورين **عثمان بن عفَّان** ، وكان يقول: الله أعدل من أن يدخل **طلحة والزبير** الجَنَّة.[3] فيلزم على هذا أن يقال إنَّ البخاري ممن يغلو في عليِّ بن أبي طالب – رضـــي الله عنه- ويقدح في الصحابة المبشرين بالجنة؛ لأنه أخرج لعبَّاد بن يعقوب.

---

١ تهذيب الكمال، المزي: ٢٢/ ٣٢٢.

٢ تهذيب الكمال، المزي: ٢٢/ ٣٢٢.

٣ ينظر تهذيب الكمال للمزي: ١٤/ ٧٨- ٧٩.

والصواب أنَّ البخاريَّ يريد متن الحديث، فإذا صحَّ له من رواية هذا التابعي الخارجي أخرجه، وإذا صـــحَّ له من طريق هذا الغالي في عليٍّ بن أبي طالب -رضـــي الله عنه- أخرجه كذلك، وهذه هي الموضوعية العلمية.

ثالثا) إخراج البخاري لحديث عمران بن حطان الخارجي، كان لغرضٍ علميٍّ يتعلّق بالصـــنعة الإسنادية، وهذا الغرض هو: **إثبات سماع عمران بن حطان من عائشة**، وإثبات السماع شيءٌ يحرص عليه المحدِّثون، وقد شكَّك بعضهم في هذا السماع، يقول العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٢٩٧) : "عمران بن حطان عن عائشة، ولا يتابع على حديثه، وكان يرى رأي الخوارج، ولا يتبين سماعه من عائشة".

وقد أشـار ابن حجر إلى هذه الفائدة في «الإصـابة» (٥/ ٢٣٤) حيث قال: "لأنَّ في الحديث الّذي أخرجه البخاري تصـــريحه بســـماعِهِ منها". ونصَّ على ذلك البخاري في ترجمة عمران في تاريخه الكبير (٦/ ٤١٣)، قال: "سمع عائشة".

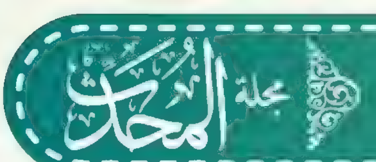
رابعا) اعتذر بعض أهل العلم بأن البخاري أخرج لعمران بن حطان في المتابعات لا في الأصـول، قال ابن التين: "هو خارجي، وإنما أدخله البخاري في المتابعة لا في الأصول".[١]

وقال ابن حجر في «هدى الســـاري» (ص ٤٣٣): "وهذا الحديث إنما أخرجه البخاري في المتابعات، فللحديث عنده طرق غير هذه من رواية عمر وغيره". وقال كذلك: "فلا يضر التخريج عمن هذا سبيله في المتابعات".

قلتُ: المقصـود أن البخاريَّ يعلم أن عمران بن حطان قد توبع على حديثه، فلا خوف من تأثير بدعته على روايته، وإلا فإن البخاري أخرج لعمران في الأصـول في موضـعين فقط (٥٨٣٥) (٥٩٥٢) وليس في المتابعات، والحديثان اللذان أخرجهما البخاري عنه ليســا مِمَّا يؤيِّدُ بدعته أو يشـــير إليها من قريب أو بعيد.

والخلاصـة: أن إخراج البخاري لحديث في إسناده (عمران بن حطَّان الخارجي) كان لغرض علميٍّ موضـوعيٍّ، لا علاقة له بمدح الخوارج، و لا الإشـادة بذَمِّ الصـحابيِّ الجليل علي بن أبي طالب، كيف

١ التوضيح، ابن الملقن: ٢٧/ ٦٧٥.





يكون ذلك وهو الذي بوّب في صحيحه (٥/ ١٨): "بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ القُرَشِيِّ الهَاشِمِيِّ أَبِي الحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ". ثم ساق الأحاديث والأخبار في فضائله.

يؤكِّد ذلك أن الإمام النسائيَّ أبا عبد الرحمن، صاحب كتاب «خصائص علي بن أبي طالب» المنافح بقوّة عنه، حتى نُسِبَ إلى التشيُّع، أخرج حديث عمران بن حطان في سُننه (٥٣٠٦) كما أخرجه الإمام البخاري، ولا يستطيع أحدٌ أن يطعن في موالاة الإمام النسائي للصحابي عليّ بن أبي طالب، كما لا يستطيع أحدٌ أن يطعن في محبَّة الإمام البخاري لعليِّ بن أبي طالب وتعظيمه له، كيف يكون ذلك والبخاري بوّب على فضائل علي بن أبي طالب، بقوله (١٨/٥): "بابُ مناقب عليِّ بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه". وأورد تحته سبعةَ أحاديث في مناقبه وثناء النبي ﷺ عليه.

وبوّب كذلك في صحيحه (٥/ ٢٥) "باب: مناقب **قرابة رسول الله** ﷺ، ومنقبة فاطمة -عليها السلام- بنت النبي ﷺ". وأخرج تحته أحاديث وآثارًا في تعظيم حقِّ أهل البيت، وبيان فضل فاطمة -رضي الله عنها-، وذكر من بين ذلك أثر أبي بكر الصديق (٣٧١٢): "والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبُّ إليَّ أن أَصِلَ من قرابتي".

وبهذا برئت ساحة الإمام البخاري من الطعن في الخليفة الراشد عليِّ بن أبي طالب-رضي الله عنه-بمجرد إخراجه لحديث عمران بن حطان، ورجع الأمر إلى المسوّغات العلمية التي سبق ذكرها، وبطل ظنُّ المتخرّصين والمتربّصين، والحمد لله ربِّ العالمين.



منهج إدارة الأزمات في السنة النبوية

د. عطا الله الثابتي

عضو الهيئة الإدارية لمدرسة الحديث العراقية

مسؤول فرع المدرسة جنوب بغداد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد وآله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين أما بعد.

فإن الشعوب والأمم قد مرت بأزمات وشدائد في هذه الحياة الدنيا عصفت بحياة الناس وغيرت من أحوالهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية فتفرقت أمم وهاجرت شعوب من مواطنها وحلت الفوضى في بعض المجتمعات، فكان لكثير من الأزمات آثارا سلبية على شعوب الأرض حينما فشلت تلك الشعوب في تخطي أزماتها ولم تستطع تجاوزها بنجاح، والأزمة هي حالة استثنائية لها أسبابها وظروفها وطرق معالجتها، فبعض طرق التعامل في إدارة أمور الحياة في أوقات اليسر والسعة قد لا تصلح في أوقات العسر والشدة.

ولما كانت الأزمات هي حالات استثنائية طارئة قد تأتي بمستجدات من الأحوال والمتغيرات لم تكن الأمور مهيأة لمعالجتها حين حصولها، فهي تحتاج إلى حكمة وتوقي وتأني مع قراءة صحيحة لمداخلات الأزمة والربط بين أسبابها ونتائجها، فلا مجال للخطأ في الأزمات، لذلك يبرز فيها أهل الحكمة والرأي السديد وحسن التدبير مع الكرم والشجاعة، ويقع فيها من لا يحسن التدبير.

وقد مرت أمتنا الإسلامية بقيادة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بظروف شديدة وأوقات عسيرة تمكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بتمكين الله تعالى له من تجاوزها بنجاح، وقيادة سفينة الأمة إلى بر الأمان. فقد حدثت أزمات أمنية واقتصادية واجتماعية شديدة في زمن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وقد تعامل مع هذه الأزمات بحكمة ومرونة وسعة صدر وبعد نظر إلى المستقبل.

وحري بالمسلمين أن يتتبعوا خطوات رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وحسن تدبيره في الشدائد لحل أزماتهم، ويستلهموا من سيرته وحكمته سبيلا للخلاص، وطريقا للنجاة، خاصة في أوقات الأزمات.

فإن قيل إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ينزل عليه وحي من الله يسدد أمره، قلت: قد تضمنت سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في التعامل مع الأزمات والشدائد أسسا وقواعد ومنهجا تستهدي به الأمة الإسلامية للنجاة من الأزمات التي قد تمر بها عبر التاريخ.

إن الأسس والقواعد التي أفرزتها طريقة تعامل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مع الأزمات، وإدارته لها يمكن استلهامها والسير على هديها بإسقاطها على حوادث ووقائع هذا الزمان المليء بالأزمات الأمنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية مع مراعاة لخصوصية الأحوال والأوقات.

وفي هذا المقال سوف يتم تسليط الضوء على بعض الأسس والقواعد التي تضمنتها سيرة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لمعالجة الأزمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وتحديدا الأسس والقواعد العملية ليتناسب مع معنى الإدارة للأزمة وذلك من خلال ما يأتي:

أولا: منهج إدارة للأزمات الاقتصادية.

من المعلوم أن المسلمين في بداية هجرتهم إلى المدينة المنورة وما تلاها من وقت كانوا منشغلين في تثبيت أسس دولتهم الجديدة بقيادة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وقد تعرضوا لشدائد في مواجهة الحاجات المعيشية وتأمين أقواتهم اليومية وخاصة المهاجرين منهم فكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تعامل خاص واستثنائي في التعامل مع هذه الأزمات وإدارتها بطريقة ترعى المصالح المشتركة لأبناء الأمة الإسلامية واذكر هنا بعض النقاط في هذا الموضوع وكما يأتي:

١. الاجتهاد بحكم بما يناسب الحالة الطارئة:

فهناك أمور تحدث تحتاج إلى اتخاذ قرار خاص لمعالجتها دون أن يترك ذلك القرار آثارا جانبية هي بمستوى الأزمة الأولى أو ربما أشد، وهنا تبرز شخصية القائد وحكمته في اتخاذ ذلك القرار، وأذكر هنا أمثلة لعمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في ذلك.

فقد روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه نهى عن ادخار لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام وذلك لوجود حاجة شديدة للناس وكثرة في عدد الفقراء والمساكين في ذلك العام، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى

أَنْ تُؤْكَلَ لُحُومُ الْأَضَاحِيِّ بَعْدَ ثَلَاثٍ»، قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، لَا يَأْكُلُ لُحُومَ الْأَضَاحِيِّ فَوْقَ ثَلَاثٍ، وَقَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ: بَعْدَ ثَلَاثٍ[1].

فهذا الحديث يدل على أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نظر إلى حال الفقراء والمساكين الذين يحضرون مواسم الحج كما أن كثيرا من المسلمين لا يملكون الهدي والأضاحي فلا يضحون، فلو استقل أهل الهدي والأضاحي بطعامهم لبقي كثير من الناس لا يصلهم منها شيء وهم في أيام مباركات وهي أيام أعياد، وخاصة أن الآيات في أكل أصحاب الهدي من هديهم مطلقة ولم تحدد بعدد معين من الأيام قال تعالى: [لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨)]، وقال تعالى: [وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦)].

فجاء هذا النهي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ليسعف الفقراء والمساكين ويضطر الأغنياء للتصدق بما يفيض عن حاجتهم لمدة ثلاثة أيام، وهذا على اعتبار أن النهي عن أكل لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام مستمر وغير منسوخ فهو تشريع لإعانة الفقراء والمساكين مع طول الوقت ويعالج حدوث الأزمات المعيشية.

وقد وردت أحاديث تبين أن النهي منسوخ وأنه جاء ليعالج أمرا طارئا، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ ضَحَّى مِنْكُمْ فَلاَ يُصْبِحَنَّ بَعْدَ ثَالِثَةٍ وَبَقِيَ فِي بَيْتِهِ مِنْهُ شَيْءٌ» فَلَمَّا كَانَ العَامُ المُقْبِلُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَفْعَلُ كَمَا فَعَلْنَا عَامَ المَاضِي؟ قَالَ: «كُلُوا وَأَطْعِمُوا وَادَّخِرُوا، فَإِنَّ ذَلِكَ العَامَ كَانَ بِالنَّاسِ جَهْدٌ، فَأَرَدْتُ أَنْ تُعِينُوا فِيهَا»[2].

وهنا في هذا الحديث يكون الاستدلال بالعمل الخاص بالأزمة أكثر دلالة، فلأجل الجهد الذي حل بالناس نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الادخار فوق ثلاثة أيام ثم لما جاء العام التالي ولم يكن الناس في ضيق عاد الأمر إلى طبيعته كما في الآيات السابقة.

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الْأَضَاحِيِّ، بَابُ بَيَانِ مَا كَانَ مِنَ النَّهْيِ عَنْ أَكْلِ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ بَعْدَ ثَلَاثٍ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، وَبَيَانِ نَسْخِهِ وَإِبَاحَتِهِ إِلَى مَتَى شَاءَ، رقم (١٩٧٠).

[2] صحيح البخاري، كِتَابُ الأَضَاحِيِّ، بَابُ مَا يُؤْكَلُ مِنْ لُحُومِ الأَضَاحِيِّ وَمَا يُتَزَوَّدُ مِنْهَا، رقم (٥٥٦٩).

قلت: وعلى كلا الرأيين يكون العمل بمقتضى معالجة الأزمة فعلى الرأي الأول لما رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حاجة الناس وشدة معاناتهم قيد الآيات التي تبيح الأكل من الأضاحي بثلاثة أيام بصورة دائمة ليكون حلا للحاضر والمستقبل، وعلى الرأي الثاني قيدها بثلاثة أيام لحين انتهاء الحاجة وانقضاء الشدة.

قال ابن بطال: قال المهلب: والذي يصح عندي أنه ليس فيها ناسخ ولا منسوخ، وقد فسر ذلك في الحديث بقوله: إنما كان ذلك من أجل الجهد، ومن أجل الدافة، فكان نظرًا منه عليه السلام لمعنى، فإذا زال المعنى سقط الحكم، وإذا ثبت المعنى ورأى ذلك الإمام عهد بمثل ما عهد به عليه السلام؛ توسعة على المحتاجين[1].

وهكذا يرعى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم شؤون المسلمين وقت الأزمات والشدائد والعوز وينظر بعين الرأفة إلى المصلحة العامة دون أن يرهق الأغنياء منهم بل يكلفهم بما يستطيعون، وقد أباح لهم أن يدخروا من أضاحيهم لثلاثة أيام وهذا من حسن تدبيره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

٢. العمل بالتكافل.

إن كفالة المسلمين بعضهم لبعض من الأمور التي حث عليها القرآن الكريم والسنة النبوية ففرض الله تعالى لأجل ذلك الزكاة وجعلها نماء وبركة للأموال لا نقصا منها، وحث على الصدقة واشتق للصدقة اسما من الصدق وعظم الله لصاحبها الأجر والثواب في الدنيا والآخرة فمن بركات الصدقة في الدنيا أنها دافعة للبلاء شافية من الأسقام وفي الآخرة الناس في ظل صدقاتهم.

أما وقت الأزمات الاقتصادية فكانت هناك إجراءات عملية من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لتجاوز المحن وعبور الشدائد وأذكر مثالين على ذلك:

المثال الأول: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

إن من أعظم ما جاء في سيرة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في مسألة التكافل هي المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فالمؤاخاة منقبة أخلاقية واجتماعية وحل لأزمة معيشية لم يشهدها التاريخ من قبل، فقد آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بين المهاجرين والأنصار وأمر أن يأخذ رجل

---

[1] شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ج ٦، ص ٣١.

من الأنصار رجلا من المهاجرين ويسكنه في بيته ويتكفل بإطعامه، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ المَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًى، فَقَالَ لِعَبْدِالرَّحْمَنِ: أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأُزَوِّجُكَ، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ، فَمَا رَجَعَ حَتَّى اسْتَفْضَلَ أَقِطًا وَسَمْنًا، فَأَتَى بِهِ أَهْلَ مَنْزِلِهِ، فَمَكَثْنَا يَسِيرًا أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَجَاءَ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْيَمْ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ، قَالَ: «مَا سُقْتَ إِلَيْهَا؟» قَالَ: نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، - أَوْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ - قَالَ: «أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»[1].

وهكذا بفضل الله وحسن إدارة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لهذه الأزمة التي تعتبر كبيرة في حجمها إذا ما قيست بالنسبة إلى هذا الزمان فقد انتقل أكثر من سبعين رجلا من المهاجرين إلى المدينة المنورة وليس لهم مأوى ولا معيل فكان الحل في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

ويمكن الاستفادة من طريقة المؤاخاة لحل الأزمات الاقتصادية في هذا الزمن ونحن نمر في هذه الأيام بأزمة حقيقية بسبب انتشار وباء مرض كورونا، وليس شرطا أن تكون بنفس الحرفية ولكن بطريقة الكفالة بأن يكفل كل رجل ميسور عائلة فقيرة لحين تجاوز الأزمة.

المثال الثاني: بناء الصفة في المسجد.

من الحالات التي تم علاجها عمليا بالتكافل هي بناء الصفة في المسجد النبوي ليكون مأوى لمن يأتي إلى المدينة ولم يكن له فيها دار ولا عقار من فقراء المسلمين وكانت معيشتهم على أهل المدينة حيث يقدمون لهم ما يستطيعون تقديمه من طعام، وكان عددهم كبيرا فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ، إِمَّا إِزَارٌ وَإِمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ، كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ»[2].

---

[1] صحيح البخاري، كِتَابُ البُيُوعِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١]، رقم (٢٠٤٩).

[2] صحيح البخاري، كتاب الصلاة، بَابُ نَوْمِ الرِّجَالِ فِي المَسْجِدِ، رقم (٤٤٢).

إن مثل هذا العدد بالنسبة إلى سكان المدينة يشكل أزمة كبيرة وطويلة بمقاييسنا اليوم ومع ذلك كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يجاهد في إدارته لهذه الأزمة ويحث الناس على الكفالة اليومية وبصورة مستمرة مع وجود وبقاء الأزمة، والأحاديث كثيرة في هذا الموضوع، فقد أخرج أحمد في مسنده بسنده عن عَبْدالرَّحْمَنِ بْن أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا أُنَاسًا فُقَرَاءَ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ مَرَّةً: " مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ، فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ وَقَالَ عَفَّانُ: بِثَلَاثَةٍ وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ، فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ سَادِسٍ " أَوْ كَمَا قَالَ وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلَاثَةٍ، وَانْطَلَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَشَرَةٍ، وَأَبُو بَكْرٍ بِثَلَاثَةٍ قَالَ عَفَّانُ: بِسَادِسٍ[1].

فنجد هنا أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يسن للناس التكافل في المعيشة ويحثهم عليه ويرغبهم فيه ويعمل بنفسه على تطبيقه حتى يتمكن المسلمون من عبور أزمتهم وتجاوز محنتهم.

ثانيا: منهج إدارة للأزمات الأمنية والسياسية:

مرت بالمسلمين مواقف أمنية وسياسية شديدة اقتضت معالجتها بسرعة ودقة وحكمة لأنها أقرب إلى المفاجآت السريعة وتقلبات في الأوضاع والمواقف الأمنية والسياسية وقد أفرزت معالجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لهذه الأزمات عن جملة طرق وأساليب وأسس يمكن تلخيصها كما يأتي:

١. العمل بمبدأ الشورى:

فعندما خرج المسلمون إلى اعتراض عير قريش القادمة من الشام لم يكن في حسابهم أن يلتقوا بالمشركين في معركة بدر فقد خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومعه ثلاثمائة وأربعة عشر

[1] مسند أحمد، رقم (١٧٠٤).

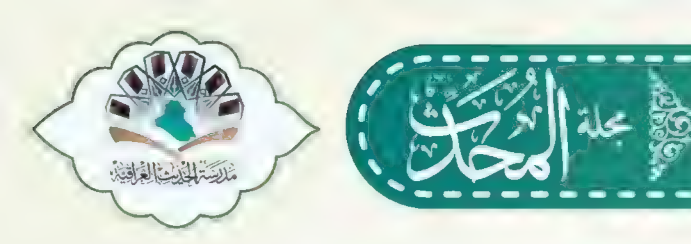
رجلا وهذا العدد كبير بالنسبة إلى الهدف المنشود وهو السيطرة على قافلة قريش لكنه غير كاف لخوض معارك مع جيوش في الحسابات العسكرية المعروفة، ولما حصلت المفاجآت وأفلتت القافلة وخرجت قريش بحدها وحديدها و بأعداد كبيرة بلغت قريبا من ألف رجل لملاقاة المسلمين، فهنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يتخذ قرار مواجهة المشركين بمفرده فطلب رأي من معه من المسلمين فالقرار يتعلق بمصير جميع من معه فاستشار المسلمين وقصد الأنصار لأنهم أهل الدار والمأوى والمعركة بعيدة عن ديارهم وكانوا قد أعطوا مواثيقهم بالدفاع عن المسلمين في المدينة فلذلك حرص رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على أخذ رأيهم وأصر على ذلك ليكون أمر مشاركتهم في المعركة باختيارهم وقناعتهم.

إن مثل هذا العمل الحكيم يجعل من الصحابة رضي الله عنهم يتفانون في ولائهم لدينهم وطاعتهم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ودفاعهم عن المسلمين، وفعلا كان الأمر كذلك، وتكلم قادة الأنصار بما يرضي الله، ويسر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ووفوا بما وعدوا، وكان النصر حليف المسلمين.

وهكذا يؤسس رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لمنهج العمل بروح الفريق الواحد ويشعر قيادات المسلمين بوجودهم ومكانتهم ليشد من عزمهم وصبرهم وقت الشدائد، ليكون ذلك درسا بليغا لقادة الأمة في العمل بالمشورة والبعد عن الاستبداد في الحكم والتخلي عن القرارات الفردية وخاصة أوقات المحن.

٢. النظر للآثار والمآلات عند اتخاذ القرار.

بشكل عام فإن الأزمات لها خصوصية في طريقة المعالجة فيجب أن يكون القرار المتخذ فيه مراعاة للظروف المحيطة والأخطار المحدقة والمواقف المحتملة التي قد يثيرها ذلك القرار، فمن الحكمة التنبه للتبعات والآثار المترتبة عليه، وهذا الأمر يمكن ملاحظته بشكل جلي وواضح من خلال بعض قرارات رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في أوقات الأزمات، وقد حدثت حادثة في مسير المسلمين إلى فتح مكة يرويها أهل السير، فقد ذكر أهل السير أن بعض المسلمين من قريش كانوا يخشون من سعد بن عبادة أن يحدث صولة في أهل مكة بعدما سمعوا منه مقالة في ذلك فشكوه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال كما ذكر الواقدي: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَرْحَمَةِ



الْيَوْمَ أَعَزّ اللهُ فِيهِ قُرَيْشًا قَالَ: وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم إلى سَعْدٍ فَعَزَلَهُ، وَجعَلَ اللّوَاءَ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، وَرَأَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنّ اللّوَاءَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ سَعْدٍ حِينَ صَارَ لِابْنِهِ.

فرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أراد استبدال سعد مع الحرص على أن تسير الأمور بدون اثارة حفيظة سعد بن عبادة أو حفيظة قومه، والمسلمون في وقت حرج حيث يستعدون لدخول معركة ولقاء عدو، وكان سعد على الأنصار، والمجتمع مجتمع قبلي، والأنصار لهم مكانتهم فجعل ابنه قيسا مكانه، وقيس لا يقل شجاعة وولاء وكرما عن أبيه، فكان قرار رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قرارا واختيارا مناسبين حيث سارت الأمور بصورة طبيعية ومضت عملية التغيير بهدوء.

ثالثا: منهج إدارة للأزمات الاجتماعية.

من الأمور التي حظيت بعناية السنة النبوية هي المحافظة على وحدة المجتمع وترسيخ قيم المحبة والتعايش السلمي بين شرائح المجتمع الواحد، والنأي بالناس عن كل ما يثير العداوة والبغضاء وذلك بالصبر على أفعال المنافقين ومؤامراتهم ما أمكن إلى ذلك سبيلا، على الرغم من محاولات المنافقين لخلق أزمات اجتماعية تقطع من خلالها حبال المودة وتهدم جسور المحبة بين فئات المجتمع وشرائحه وتجعل من هذه الفئات متنافسة ومتناحرة فيما بينها، فجاءت السنة النبوية لتبين أن التحلي بالصبر والتخلق بالصفح أولى من التسرع في مواجهة المخالفين وكيف لا وقد سن الله تعالى الصبر علاجا للمصائب والأزمات قال تعالى: [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)].

ويمكن أن نضع هنا عنوانا يصلح أن يكون معبرا عن قاعدة أو مبدأ أسسته السنة النبوية في حل الأزمات الاجتماعية التي تحدث بين الناس وهو الحرص على التعايش السلمي.

ومن الأمثلة على اتخاذ القرارات في إدارة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأمور المسلمين أوقات الأزمات الاجتماعية ما حصل في إحدى الغزوات حين تطاول ابن سلول على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فتركه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم للأيام ولم يتخذ بحقه عقوبة، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمَّعَهَا اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقَالُوا كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ،

فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ [ص:١٥٥]: يَا لَلأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ» قَالَ جَابِرٌ: وَكَانَتِ الأَنْصَارُ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ، ثُمَّ كَثُرَ المُهَاجِرُونَ بَعْدُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ: أَوَقَدْ فَعَلُوا، وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهُ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»[١].

فنرى هنا أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يتخذ إجراء بحق ابن سلول مع نفاقه وتطاوله وقوله كلمة الكفر، وترك أمر محاسبته حتى لا يقول الناس بأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقتل أصحابه، ولو تم قتل هذا المنافق وسمع به القاصي والداني لكان من أسباب تنفير الناس عن الدخول في الإسلام حيث يترك أمر قتله آثارا سلبية على مستقبل الدعوة إلى دين الله، فمن أجل ذلك راعى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الحال والمآل وآثر الصفح على المواجهة لكسب قلوب الناس إلى الإسلام وللحفاظ على وحدة المجتمع وإدامة الألفة والتعايش السلمي بين الناس.

والحديث فيه دليل آخر على منهج النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الحفاظ على وحدة المسلمين من خلال حثهم على الولاء لدينهم لا لفئاتهم أو قبائلهم، وتجاوز أي حالة نزاع قد تحدث بين المسلمين لتجعل منهم فئات وقبائل متناحرة، فلذلك جاء وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لما حصل بين المهاجرين والأنصار من تداع وصفا منفرا لهم، وبأن ما يحصل هو شيء منتن ليبعدهم عن التفكير فيه، فضلا عن الدخول بهذا العمل وممارسته، وهذا المنهج النبوي يجب إحياؤه من قبل المسلمين في هذا الزمان الذي كثرت فيه الخلافات والنزاعات بين أبناء الأمة الإسلامية، فالأخوة في الإسلام عابرة للأعراق والبلدان والبحار والمحيطات، والله الموفق للخير والهادي إلى سبيل الرشاد وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه ومن اهتدى بهديه والحمد لله رب العالمين.

---

[١] صحيح البخاري، رقم (٤٩٠٧).

الإيمان أولاً

الباحث: محمد ياسين
عضو هيئة تحرير مجلة المحدث

كما عرفته هو صاحب همة لا يدخر جهداً في طرح الدقائق الفقهية والوقفات الحديثية والأصول العقدية باذلاً كل ما يستطيع لأجل إحياء موات شاء قدر الله عز وجل أن يجعله في سلك الكليات والجامعات الشرعية، ومع كل هذا البذل لا تجري الرياح بما تشتهي السفن، مما يدخل على القلب الخيبة والأسى على هؤلاء الذين ألقوا في كثير من الأحيان من غير ما رغبة في مضمار الدراسات الشرعية، فما الحل وما العمل؟

يعاني الكثير من الأساتذة من صعوبة الإرتقاء بمستوى الطلبة في المراحل الأولية بل في المراحل العليا، مع أنهم يبذلون الكثير من الجهود في إيصال المادة العلمية، ولكن لا تؤتي هذه الجهود ثمارها فلماذا النتائج مخيبة للآمال؟

إن السبب الذي حطم الكثير من الجهود المبذولة في ميدان العلم والتعليم هو غياب المنهجية النبوية في طلب العلم والتعليم، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام لما بعث معاذا إلى اليمن قال له: إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم)[1].

يبين هذا الحديث تسلسل الواجبات التي تناط بالمربي والعالم والأستاذ في طرح ما في جعبته عندما يتعامل مع ضعاف الإيمان ومن هو ماض في أول الطريق، إنه بناء طريق الإيمان بإحياء مشاعر الخوف والحب والرجاء والوفاء لله رب العالمين المتقدمة على كل شيء.

ما قيمة العلم بالجزئيات والتفصيلات من غير إقبال القلب على طاعة الملك الديان؟

---

(١)صحيح البخاري ٢/ ١٢٨، رقم ١٤٩٦، صحيح مسلم ١/ ٥١، رقم ٣١ - (١٩)

وما قيمة العمل - إن وجد طبعا - إذا لم تصاحبه مشاعر؟ وهل سيستمر هذا العمل؟

إننا بحاجة ماسة إلى الموازنة بين الطرح العلمي لمتطلبات المنهج، وبين إحياء معاني الخوف والرجاء في نفس طالب العلم، فهي الخطوة الأولى في البناء الصحيح .

نحن بحاجة إلى الإكثار من الحديث عن عظمة الله وأهوال القيامة والجنة والنار، ليصل حال الطالب كأنه يراها رأي العين، فذلك ما يصنع الإيمان، ويجعل الواحد منهم أنموذجا مقبلا على طاعة رب العالمين.

ما قيمة الشهادة لطالب الشريعة إذا كانت الدنيا والرفعة والمال والجاه هي الهم الأساس في صدره.

وأين نحن من حديث المصطفى (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه)[١].

تصور أن الإيمان مقدم حتى على القرآن، فكيف يعرف قدر القرآن من خلا جوفه من الإيمان قال ابن عمر رضي الله عنه (لقد عشنا برهة من دهرنا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد - صلى الله عليه وسلم - فيتعلم حلالها وحرامها، وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يقف عنده منها، كما تعلمون أنتم اليوم القرآن، ثم لقد رأيت اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدرى ما آمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه، فينثره نثر الدقل)[٢]، وقال حذيفة رضي الله عنه: (إنا قوم أوتينا الإيمان قبل أن نؤتى القرآن، وإنكم قوم أوتيتم القرآن قبل أن تؤتوا الإيمان)[٣]، وقال جندب بن عبد الله، قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا[٤].

فكيف تقدمت علوم سوى القرآن على الإيمان، وكيف نلقم الطلاب دقائق العلوم وأحدهم ما زال عاجزاً عن التمسك بأخلاق الإسلام وأداء حق الصلاة والصيام؟

ولعل في أذهاننا يتبادر هذا السؤال، ماذا نفعل إذا لم يتغير حال الإيمان في قلب طالب العلم ولم يتقدم؟

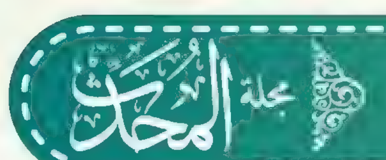
---

(١) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ينظر: الجامع الكبير ٤/ ٥٨٨ رقم ٢٣٧٦ .

(٢)«السنن الكبرى للبيهقي ت التركي» (٦/ ٧٨) رقم ٥٣٥٥

(٣)«السنن الكبرى للبيهقي» (٣/ ١٧١) رقم ٥٢٩١.

(٤)«سنن ابن ماجه» (١/ ٢٣).

الجواب: لنتذكر أن تزكية الإنسان وتقوية الإيمان هي وظيفة الرسل والأنبياء، وهو ما جاء به نبينا عليه الصلاة والسلام: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين[١]. وإن دعوة الإنسان للتحليق في طريق الإيمان هي الهم الذي ينبغي أن يعلونا في كل حال وزمان ومكان، وإن إحياء مقام الربوبية في القلوب أصل في أشد الأحوال التي يمر بها العازم على قطع الطريق ﴿يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾[٢].

هذا هو المنهج الذي عمّر العقول والقلوب وفتح للأمة مشارق الأرض ومغاربها، آن لنا أن نراجع خطوات السير من جديد.



---

(١) سورة الجمعة اية٢

(٢) سورة يوسف اية٤٠



تهافت الشبهات

زَوَاجُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِن صَفيةَ بنتِ حُيَيٍّ رضي الله عنها وما فيهِ من شُبُهَاتٍ

أ.م.د. رضوان عز الدين الحديدي

عضو الهيئة الإدارية لمدرسة الحديث العراقية

التدريسي في كلية الإمام الأعظم

بَعْدَ أَنْ أَنْهَيْنَا الكلام في المقالة السابقة عَنْ زَواجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنْ عائشةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها، وَمَا فِيه مِنْ إِشْكَالَاتٍ يَحْتَمِلُهَا النَّصُّ أَوْ يَحْمِلُونَهَا عَلَى النَّصِّ ، وَالرَّدُّ عَلَيهَا بِكُلِّ سَلَاسَةٍ مِنَ الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ ، في هَذَا العدد أُحَاوِلُ أَنْ اسْتَعْرِضَ مَا يُرَدِّدُهُ الجَاهِلُونَ – بِلِسَانِهِم وَلُغَتِهِم – مِن إِشْكالاتٍ تَخْتَصُّ جُملَتُها بِزَواجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِن صَفيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ رضي الله عنها (١) ، وَمِنْ ثَمَّ صِيَاغَةُ تلكَ الإشكالاتِ صِيَاغَةً عِلْمِيةً ، ثُمَّ الإِجَابَةُ عَنْها في إطارِ مَنْهَجِ المحَدِّثِينَ المنْضَبِطينَ وَمَنْهَجِ العُقَلاءِ الرَّاشِدينَ .

الحديثُ المشْكِلُ كما ورد في الصحيح:

أَخْرَجَ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحهِ – واللفْظُ لَهُ – وَمُسْلِمٌ في صَحِيْحِهِ (٢) ، وأَبُو دَاودَ في سُنَنِهِ (٣)، والنَّسَائِيُّ فِي سُنَنِهِ (٤)، والتِّرمذيُّ في جَامِعِهِ (٥) ، كُلُّهُم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه يقولُ : إنَّ

---

(١) صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ بْنِ سَعْنَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ أَبِي حَبِيبِ بْنِ النَّضِيرِ بْنِ النَّحَّامِ ابْنِ ينحوم ، مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ هَارُونَ عليهِ السَّلامُ ، وأُمُّهَا بَرَّةُ بنتُ السَّمَوأل ، ماتتْ في زَمَنِ مُعاوية رضي الله عنه. الإصابة في تمييز الصحابة ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ لسنة ١٤١٥ هـ : ٨/ ٢١٠

(٢) أَخْرَجَهُ مسلم في كتاب النكاح ، بَاب فَضِيلَةِ إِعْتَاقِهِ أَمَتَهُ، ثُمَّ يَتَزَوَّجُهَا ، بالرقم (١٤-١٣٦٥) .

(٣) أَخْرَجَهُ أبو داود في كِتَاب الْخَرَاجِ وَالْإِمَارَةِ وَالْفَيْءِ، بَاب ما جاء في سهم الصفي ، بالرقم (٢٩٩٨) .

(٤) أَخْرَجَهُ النسائي في كتاب النكاح ، بَاب البناء في السفر ، بالرقم (٣٣٨٠) .

(٥) أَخْرَجَهُ الترمذي في كتاب النكاح ، بَاب فَضِيلَةِ إِعْتَاقِهِ أَمَتَهُ، ثُمَّ يَتَزَوَّجُهَا ، بالرقم (١٥٥٠) .

رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم غَزَا خَيْبَرَ ، فَصَلَّيْنَا عِنْدَهَا صَلاَةَ الغَدَاةِ بِغَلَسٍ (١) ، فَرَكِبَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَرَكِبَ أَبُو طَلْحَةَ، وَأَنَا رَدِيفُ أَبِي طَلْحَةَ ، فَأَجْرَى نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي زُقَاقِ خَيْبَرَ ، وَإِنَّ رُكْبَتِي لَتَمَسُّ فَخِذَ نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، ثُمَّ حَسَرَ الإِزَارَ عَنْ فَخِذِهِ حَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ فَخِذِ نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَلَمَّا دَخَلَ القَرْيَةَ قَالَ: " اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ «فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ» (٢) " قَالَهَا ثَلاَثًا، قَالَ: وَخَرَجَ القَوْمُ إِلَى أَعْمَالِهِمْ، فَقَالُوا : مُحَمَّدٌ وَالخَمِيسُ - يَعْنِي الجَيْشَ - قَالَ: فَأَصَبْنَاهَا عَنْوَةً (٣)، فَجُمِعَ السَّبْيُ ، فَجَاءَ دِحْيَةُ الكَلْبِيُّ رضي الله عنه ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَعْطِنِي جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ ، قَالَ: "اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً" ، فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ ، سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، لاَ تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ، قَالَ: "ادْعُوهُ بِهَا" فَجَاءَ بِهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ غَيْرَهَا"، قَالَ: فَأَعْتَقَهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَتَزَوَّجَهَا، فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، مَا أَصْدَقَهَا؟ قَالَ: نَفْسَهَا، أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ ، جَهَّزَتْهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ ، فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَصْبَحَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَرُوسًا، فَقَالَ: "مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِئْ بِهِ" وَبَسَطَ نِطَعًا (٤)، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالتَّمْرِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالسَّمْنِ، قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَدْ ذَكَرَ السَّوِيقَ، قَالَ: فَحَاسُوا حَيْسًا، فَكَانَتْ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (٥) .

---

(١) الغَلَس: (ظُلْمَةُ آخِرِ اللَّيْلِ إِذَا اخْتَلَطَتْ بِضَوْءِ الصَّبَاحِ) . النهاية في غريب الحديث والأثر : ٣/٣٧٧

(٢) سورة الصافات / الآية ١٧٧

(٣) عَنْوَةً أَيْ قَسْرًا أَوْ قَهْرًا . ينظر : المغرب : ١/٣٣١

(٤) قال ابنُ فَارسٍ : (النُّونُ وَالطَّاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى بَسْطٍ فِي شَيْءٍ وَمَلَاسَةٍ. مِنْهُ النِّطْعُ، وَيُقَالُ لَهُ النَّطْعُ، وَهُوَ مَبْسُوطٌ أَمْلَسُ) . مقاييس اللغة : ٥/٤٤٠

(٥) أخْرَجَهُ البُخاريُّ في كتابِ الصَّلاةِ ،بابُ ما يُذكرُ في الفَخِذ ،بالرقم (٣٧١) ، وأخْرَجَهُ مُسلمٌ في كتابِ النكاحِ ، بابُ فضيلةِ إعتاقِهِ أمتَهُ ثُمَّ يتزوجُها ، بالرقم (١٣٦٥/٨٤) .

وَهُنَا جُملةٌ مِن التَسَاؤلاتِ الَّتي تَقْفِزُ إلى الأذهانِ وَيُثيرُها الغُرَباءُ بألفَاظِهم ، أُصِيغُها بِعِبَاراتٍ مُهذبةٍ تَليقُ بِمَقَامِ النُّبوةِ، وأعتذرُ مِنْكَ يَا رَسولَ اللهِ إنْ لم أَنْتقِ الكلمةَ المناسِبَةَ الَّتي تُلَخِّصُ فِكْرَتَهم الدَّائرةَ في رُؤوسِهم، وحَسْبِي أني تَوَخَيْتُ وَسَدَّدتُ وقَارَبتُ . وَتَتَلَخَصُّ شُبُهَاتُهم بما يلي :

- كيفَ يَتزوَّجُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم امرأةً بَعْدَ أنْ مَهَّدَ الطريقَ إليها بِقَتْلِ أبيها وزَوْجِها وأخِيها ؟
- وَهَلْ هَذا الزَواجُ إلا مِنْ بَابِ إطفاءِ الشَّهوةِ وَقَضَاءِ الوَطَرِ !!
- وَكَيفَ تَحِلُّ لَهُ وَهِي كَافِرَةٌ ، واللهُ تَعالى يقولُ : « وَلاتُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ » (١) .
- ولِمَاذا غَيَّرَ الرَّسولُ صلى الله عليه وسلم رَأيَهُ بَعْدَ أنْ رَآهَا عِنْدَ دِحْيَةَ ، فَأُعْجِبَ بِجمالها وأُدْهِشَ بِمَنْظَرِهَا .
- وَكيفَ يَبْنِي بها بَعْدَ أيامٍ مِنْ مَقْتَلِ زَوْجِها !! وَعِدَّةُ المتَوَفَى عَنْها زَوْجُهَا (١٣٠) يَوْماً كما هُو معلومٌ ، قَالَ تَعَالى : « وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا » (٢) ؟
- وَكَيفَ تَطِيبُ نَفْسُ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أنْ يُعَاشِرَ امرأةً بالإكراهِ ، وَهِي لم تَنْشَفْ دَمْعَتُها عَلى أَبِيْها وأخِيْها وزَوْجِها ، الَّذينَ لم تُدْفَنْ جُثَثُهم بَعْدُ ، وَلا يَدَعُ فُرْصَةً لها أنْ تَحزَنَ عَلى أقْرَبِ النَّاسِ عَليها؟ .
- ثُمَّ لماذَا هَذا الإجْلاءُ لليهودِ مِن مَنَازِلِهم ؟! أليستْ الحربُ والغزوةُ عَلى خَيبرَ إلا مِنْ أَجْلِ إخراجِهم والإستيلاءِ عَلى مُمتلكاتِهم !!

هَذِهِ حِزْمَةٌ مِن الإشْكَالاتِ الَّتي تَدورُ في أذْهَانِ المُشكِّكينَ ، قَدْ جَمَعْتُ كُلَّ مَا يحمِلُهُ النَّصُّ مِن فَرَضِياتٍ مَغْلوطةٍ ، وَهِي وَاهيةٌ وَواهِنَةٌ ، بَلْ أَوْهَى وأوهَنُ مِن بَيْتِ العَنكبوتِ لَو كَانوا يَعلمونَ.

بَعْدَ هَذه المقدِّمةِ أقولُ مُسْتَعيناً باللهِ تَعَالى ومُجيباً عَن هذهِ الإشْكَالاتِ :

---

(١) سورة الممتحنة/ الآية ١٠

(٢) سورة البقرة /الآية ٢٣٤



الإشكالُ الاولُ :

الّذي يذْكُرُ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كانَ يَقْتلُ مَنْ يُعَاديهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتزوّجَ امرأتَهُ أو ابنتَهُ أو أخْتَهُ ، هَذَا إشكالٌ خَفيفُ الوزنِ جِدَّاً ، وَمُنكرو السُّنةِ يَعْلمونَ أنّه خَفيفٌ ، ولكنَّ إغْرَامَهُم بِتَصَيُّدِ الطعونِ والمَعَايبِ حَمَلَهم على هذا العِنادِ المَمْقُوتِ ، فَهذه شُبْهَةٌ ضَعيفةٌ وَاهيةٌ تُكَذِّبُهَا الأدِلةُ مِن المَنْقولِ والمَعْقُولِ .

أمَّا المَنْقولُ فَقَد ثَبَتَ في الصَّحيحِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الحِصْنَ ، ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا، وَكَانَتْ عَرُوسًا، فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِنَفْسِهِ .."[1] . وهذا ظَاهِرٌ جِدَّاً أنَّ النَّبيَّ لم يَعْلَمْ بها إلا بَعْدَ أنْ قُتِلَ زَوْجُها . فَقَدْ تَمَّ القَتْلُ لمنْ خَانَ اللهَ والرسُولَ قَبْلَ أنْ يَعْقِدَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم العَزْمَ على الزّواجِ [2].

وَمِنَ المعقُولِ أنَّهُ لَو كانَ الأمرُ كَما يُقَالُ لأَخَذَها ابتداءً ، وَلما قَالَ لِدِحْيَةَ الكَلْبِي الَّذِي جَاءَ يَسْأَلُهُ جَارِيةً مِن السَّبِيّ ، قَالَ :" **اذهبْ فَخُذْ جَارِيةً** "، فَأخَذَ صَفيةَ ، فَاشتراهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِسَبْعَةِ أرؤسٍ ، أي أعطاهُ بَدَلها سَبْعةَ أنْفُسٍ تَطييباً لِقَلْبِهِ ، وَبِهذا يُعلمُ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم لم

---

(١) أخْرَجَهُ البخاري في كتاب البيوع ، باب هل يسافر بالجارية قبل أن يستبرئها ، بالرقم (٢٢٣٥).

(٢) وكانَ سَبَبُ قَتْلِهِ كما أخْرَجَهُ البَيهقيُّ بإسنادٍ رِجالُهُ ثِقَاتٌ مِن حَديثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَاتَلَ أَهْلَ خَيْبَرَ حَتَّى أَلْجَأَهُمْ إِلَى قَصْرِهِمْ ، فَغَلَبَ عَلَى الْأَرْضِ وَالزَّرْعِ وَالنَّخْلِ ، فَصَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يَجْلُوا مِنْهَا وَلَهُمْ مَا حَمَلَتْ رِكَابُهُمْ وَلِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم الصَّفْرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ وَيَخْرُجُونَ مِنْهَا ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَكْتُمُوا وَلَا يُغَيِّبُوا شَيْئًا ، فَإِنْ فَعَلُوا فَلَا ذِمَّةَ لَهُمْ وَلَا عَهْدَ ، فَغَيَّبُوا مسْكًا فِيهِ مَالٌ وَحُلِيٌّ لِحُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ كَانَ احْتَمَلَهُ مَعَهُ إِلَى خَيْبَرَ حِينَ أُجْلِيَتِ النَّضِيرُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِعَمِّ حُيَيٍّ: " مَا فَعَلَ مَسْكُ حُيَيٍّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنَ النَّضِيرِ؟ " فَقَالَ: أَذْهَبَتْهُ النَّفَقَاتُ وَالْحُرُوبُ. فَقَالَ: " الْعَهْدُ قَرِيبٌ وَالْمَالُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ". فَدَفَعَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى الزُّبَيْرِ فَمَسَّهُ بِعَذَابٍ ، وَقَدْ كَانَ حُيَيٌّ قَبْلَ ذَلِكَ دَخَلَ خربةً فَقَالَ: " قَدْ رَأَيْتُ حُيَيًّا يَطُوفُ فِي خربةٍ هَهُنَا ". فَذَهَبُوا وَطَافُوا فَوَجَدُوا الْمَسْكَ فِي الْخَرِبَةِ ، فَقَتَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ابْنَيْ حَقِيقٍ ، وَأَحَدُهُمَا زَوْجُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ ، وَسَبَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم نِسَاءَهُمْ وَذَرَارِيَّهُمْ ، وَقَسَمَ أَمْوَالَهُمْ بِالنَّكْثِ الَّذِي نَكَثُوا) . أخْرَجَهُ البيهقيُّ في السنن الكبرى ، في جماع أبواب السير ، باب من رأى قسمة على الأراضي المغنومة ومن لم يرها، بالرقم (١٨٣٨٧) .

يَأمُرْ بِقَتلِ زَوْجِها لِيتزوجها ، بل لما قُتِلَ زَوْجُها يومَ خَيبرَ أحْسَـنَ إليها النَّبيُّ صـلى الله عليه وسـلم بأنْ أعْتَقَها وَجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقَها.

الإشكالُ الثاني :

وأمّا الإشـكالُ الَّذِي يَصِـفُ النَّبيّ صـلى الله عليه وسـلم بأنَّهُ تَزَوَّجَ صَـفيَّةَ تلبيةً لِشَـهْوتِهِ !! فَهِي شُـبْهَةٌ صَـادِرَةٌ مِن نفوسٍ لَم يُخالطِ الإيمانُ بَشَـاشَـةَ قُلوبِها قَطُّ ، ولَم تَتَذوقْ طَعْمَ الإيمانِ طَرْفَةَ عَينٍ، وإبطالُ هذه الشُبهةِ سَهْلٌ ، مِن خِلالِ النَّظَرِ في سِيرتِهِ صلى الله عليه وسلم حَالَ شَبَابِهِ وَقَبْلَ نُزولِ الوَحي عليه ، ثُمَّ حَالَ كُهولَتِهِ بعد نزولِ الوحي . فَهُو قبل البَعْثَةِ لم يَتَزَوَّجْ إلا امْرَأةً واحِدَةً ثَيِّباً ، تَكْبُرُهُ في السِّـنِّ خمسَـةَ عَشَـرَ عَامَاً - وهو في فَورَةِ الشَّـبابِ - وَبَقِي مَعَها حتَّى بَلَغَ الخمسـينَ مِن عُمُرِهِ ، ثُمَّ لَبِثَ بَعْدَ وَفَاتِها سَـنتينِ لم يتزوَّجْ حُزْناً وَوَفَاءً عَلى السَّـيدةِ خَديجةَ رضـي الله عنها، ومِن سِـنِّ الثَّانيةِ والخمسـينَ إلى سِـنِّ السِّتينَ تَزَوَّجَ عِدَّةَ زَوجاتٍ لأسْبابٍ سِياسيةٍ ودينيةٍ وإجتماعيةٍ وغيرِ ذَلِكَ [١] .

فَهلْ يُعقلُ بَعْدَ كبر السِّـنِّ ، ونُزولِ الوَحِي، وتحمُّلِ أعباءِ الرِّسَالةِ وتكاليفِ الدِّيانةِ ، وتأسيسِ الدَّولةِ في المدينةِ ، وأجماعِ المشـركينَ واليهودِ وحُلفائِهم على مُعاداةِ الإسـلامِ في مَهْدِهِ، وكتابةِ العُهودِ والمواثيقِ مع أهلِ الكِتابِ وانطلاقِ الفتوحَاتِ !! هَل يُعقلُ – بَعْدَ كُلِّ هَذَا - أنْ تُنْقَلَ حَياتُهُ صـلى الله عليه وسـلم إلى طَلَبِ الشَّـهواتِ وتَلبيةِ الرَّغَبَاتِ والقِتالِ مِنْ أجْلِهَا ؟ سُـبْحَانَكَ هَذا بُهتانٌ عَظيمٌ عَلى نَبيّك الكريمِ صلى الله عليه وسلم !!

الإشكالُ الثالثُ :

أمَّا مَا يَسْتدلونَ بِهِ مِن الآيةِ الكريمَةِ « وَلاتُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ » [٢] ، وَصَفيَّةُ مِنَ الكَوافِرِ فَلا يجوزُ نِكَاحُها ابتداءً ، فَهذا اسْتدلالٌ في غَيرِ مَحلِّه ، واسْتِشْهادٌ في غَيرِ مَقَامِهِ ؛ لأنَّ الكوافِرَ في هذه الآيةِ لا

---

(١) ذَكَرْتُهَا فِي جَوَابِي عَنِ الشُّبْهَةِ الأوْلَى الَّتِي يُثِيرُهَا الْغُرَبَاءُ حَوْلَ زَواجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنْ عائشة رضي الله عنها بالعدد السابق

(٢) سورة الممتحنة/ الآية ١٠

يُقصَدُ بها غيرُ المسلمينَ عُموماً ، بل المرادُ مِنها الكفَّارُ كُفْراً أصْلياً ، قَالَ القُرطبيُّ ﷺ : (قَولُهُ تَعالى : «بِعِصَمِ الكَوَافِرِ» المرادُ بالكوافِرِ هُنا عَبَدَةُ الأوْثَانِ مَنْ لا يجوزُ ابتداءً نِكَاحُها ، فَهِي خَاصَّةٌ بالكوافِرِ مِن غَيرِ أهلِ الكِتَابِ . وقيلَ : هِيَ عَامَّةٌ ، نُسِخَ مِنها نِسَاءُ أهْلِ الكِتَابِ) [١]. وعَلى كِلا الرأيينِ فَصَفيَّةُ بنتُ حُييٍّ مُسْتثناةٌ ؛ لأنَّها كِتابيةٌ ، ومِن جِهةٍ أُخْرَى فَهِي مَسْبيَّةٌ ، فَلا يَصِحُ الاستدلالُ بالآيةِ بَتَاتاً .

الإشكالُ الرابعُ :

وأمَّا شُبْهَةُ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أُدْهِشَ بِجمالها ومَنْظَرِها عِنْدما رَآهَا ، فَأمَرَ دِحْيةَ الكَلْبِيَّ أنْ يَأخُذَ غَيْرَهَا ، واصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ ، فَنعَمْ ، وَلَكِنْ لَيْسَ كما يُعَلِّلونَ لِلشَهْوَةِ وقَضاءِ الوَطَرِ ، بل إكرَامَاً لها وتَوْقيراً ، لاسِيما وهِي بِنْتُ سَيِّدِ قُرَيظةَ والنظيرِ هَذَا مِنْ جِهَةٍ ، وحتَّى يَقْتَدي بِهِ الصَّحَابَةُ الكِرَامُ فَيَعْتِقونَ السَّبيَّ كَما أَعْتَقَ صلى الله عليه وسلم مِنْ جِهةٍ أُخْرَى . وهذهِ أَعْظَمُ مِنَّةٍ في التَّاريخِ مِن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم عَلى اليهودِ ، حيثُ حَرَّرَ نِسَاءَهُم مِنَ الرِّقِ والسَبيِّ وَجَعَلَهم أحْرَاراً .

قَال النَّوويُّ ﷺ :(قَالَ الْمَازِرِيُّ وَغَيْرُهُ : يَحْتَمِلُ مَا جَرَى مَعَ دِحْيَةَ وَجْهَيْنِ ، أَحَدُهُمَا : أَنْ يَكُونَ رَدَّ الْجَارِيَةَ بِرِضَاهُ وَأَذِنَ لَهُ فِي غَيْرِهَا ، وَالثَّانِي : أَنَّهُ إِنَّمَا أَذِنَ لَهُ فِي جَارِيَةٍ لَهُ مِنْ حَشْوِ السَّبْيِ لَا أَفْضَلِهِنَّ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ أَخَذَ أَنْفَسَهُنَّ وأجودَهُنَّ نَسَباً وشَرَفاً فِي قومها وَجَمالاً اسْتَرْجَعَهَا ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَأْذَنْ فِيهَا وَرَأَى فِي إِبْقَائِهَا لِدِحْيَةَ مَفْسَدَةً ؛ لِتَمَيُّزِهِ بِمِثْلِهَا عَلَى بَاقِي الْجَيْشِ ؛ وَلِمَا فِيهِ مِنَ انْتِهَاكِهَا مَعَ مَرْتَبَتِهَا وَكَوْنِهَا بِنْتَ سَيِّدِهِمْ ؛ وَلِمَا يَخَافُ مِنَ اسْتِعْلَائِهَا عَلَى دِحْيَةَ بِسَبَبِ مَرْتَبَتِهَا ، وَرُبَّمَا تَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ شِقَاقٌ أَوْ غَيْرُهُ ، فَكَانَ أَخْذُهُ صلى الله عليه وسلم إِيَّاهَا لِنَفْسِهِ قَاطِعًا لِكُلِّ هَذِهِ الْمَفَاسِدِ الْمُتَخَوَّفَةِ وَمَعَ هَذَا فَعَوَّضَ دِحْيَةَ عَنْهَا) [٢].

والحكمةُ في اسْترجَاعِها مِنْ دِحْيَةَ عَلى رَأي ابنِ حَجَرٍ ﷺ أنه لَمَّا (قِيلَ : لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِنَّهَا بِنْتُ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِهِمْ ، ظَهَرَ لَهُ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِمَّنْ تُوهَبُ لِدِحْيَةَ ؛ لِكَثْرَةِ مَنْ كَانَ فِي الصَّحَابَةِ مِثْلَ دِحْيَةَ وَفَوْقَهُ ، وَقِلَّةِ مَنْ كَانَ فِي السَّبْيِ مِثْلَ صَفِيَّةَ فِي نَفَاسَتِهَا ، فَلَوْ خَصَّهُ بِهَا لَأَمْكَنَ تَغَيُّرُ خَاطِرِ

---

(١) الجامع لأحكام القران ، القرطبي (ت ٦٧١هـ):٦٧/١٨

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هجرية):٢٢٠/٩

بَعْضِهِمْ ، فَكَانَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ ارْتِجَاعُهَا مِنْهُ وَاخْتِصَاصُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِهَا ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِضَا الْجَمِيعِ) (١).

الإشكالُ الخامسُ :

مَا يُرَدِّدُهُ المشكِّكُونَ مِن كيفيةِ دُخولِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَلى امْرأةٍ وَبِنائهِ بها ، وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُها قَبلَ أيامٍ ولم تَعْتَدَّ العِدَّةَ الَّتي أمرَ اللهُ بِها وهِيَ أربعةُ أشهرٍ وعَشْرَةُ أيامٍ ؟

هَذا الاشْكَالُ أَخَذَ الجَوابُ مِنّي عِدَّةَ أيّامٍ وأنا أُفَكِّرُ وأُقَلِّبُ في شُروحَاتِ الحديثِ وكتُبِ التاريخِ لعَلّي أَجِدُ جَوَاباً يَشْفِي غُلَّةَ البَاحِثِ ، فَوَجَدْتُهم يُجيبونَ بالحديثِ الصَّحيحِ الَّذي رَواهُ أبو سَعيدٍ الخُدْريُّ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم :"لا تُوطَأُ حَامِلٌ حتَّى تَضَعَ ، ولا غَيرُ ذَاتِ حَمْلٍ حتَّى تَحِيضَ حَيْضَةً" (٢). وفي ظَنّي أنَّ هَذا الحديثَ لا يَصْلُحُ للجوابِ ؛ لأنَّه قِيلَ في غَزْوَةِ أَوْطَاسٍ الَّتي كانَتْ سَنَةَ ٧ هـ . وغَزْوةُ خَيبر كانتْ سَنَةَ ٦ هـ ، فَلا يُعْقَلُ أنْ نَسْتَدِلَّ بالمتأخرِ عَلى المتقدِّمِ .

وبَعْدَ التفكُّرِ الطويلِ والتضرُّعِ للبَاري عَزَّ وَجَلَّ قَدَحَ في ذِهْني جواباً أعتَقِدُ صِحَتَهُ وإنْ لم أَجِدْ نَصَّاً مِمَّنْ سَبَقَني إليهِ ، وأسألُ اللهَ أنْ لا يَحرِمَنِي الأجرَ الوَاحِدَ على اجتهادي .

خُلاصَةُ الجَوابِ : أنَّ فِعْلَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بالدُخُولِ عَلى صَفِيةَ مِنْ غَيْرِ أنْ يَنْتَظِرَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشرةَ أيامٍ كانَ تَشْرِيْعَاً تَأْسِيْسياً عَمَلِياً سَنَةَ ٦ للهِجرَةِ ، وَأكَّدَهُ صلى الله عليه وسلم قَوْلِيّاً في سَبايا أوْطاسٍ سَنةَ ٧ للهجرَةِ . فَالمرأةُ المسْبيةُ عِدَّتُها حَيْضَةٌ وَاحِدَةٌ يُسْتَبرأُ بِها رَحِمُها ، والله أعلمُ .

وَعَثَرْتُ عَلى جَوابٍ آخَرَ يُمكِنُ الاسْتدلالُ بِهِ أيضاً عَلاوَةً عَلى الجَوابِ السَّابِقِ ، وَهُو أنَّ السَّبْيَ بِحَدِ ذَاتِهِ يُعتبرُ قَاطِعَاً للآصرةِ بينَ الزَوْجينِ الكَافِرينِ ، بَعْدَهُ تَحْتَاجُ الى اسْتبراءِ الرَّحِمِ بِحَيْضَةٍ وَاحِدَةٍ . قَالَ الشَّافِعِيُّ ﷺ: (وَدَلَّ ذلِكَ على أنَّ السِّباءَ نفسَهُ إنقطاعُ العِصْمَةِ بينَ الزَّوجينِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لا يَأْمُرُ

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن حجر العسقلاني :٤٧٠/٧.

(٢) أَخْرَجَهُ الحاكم في المستدرك : ٢١٢/٢ بالرقم (٢٧٩٠) وَقَالَ هَذا حَديثٌ صَحيحٌ عَلى شَرْطِ مُسلمٍ ، ولم يُخرجاهُ. وَسَكَتْ عَنه الذَّهَبِيُّ في التَلخيصِ .

بِوَطْءِ ذَاتِ زَوْجٍ بَعْدَ حَيضةٍ إلا وَذلِكَ قَطعُ العِصْمَةِ) [١] ، وقَالَ في مَوْضِعٍ آخرَ : (وليسَ في قَطْعِ العِصْمةِ بَيْنَهُنَّ وَبينَ أَزْواجِهِنَّ بأكثرَ مِن استبائِهِنَّ بَعْدَ حُرّيتِهِنَّ) [٢].

فَالمرأةُ المسبيَّةُ بِمُجردِ أنْ تُسْبَى في الغَزَواتِ تَنفكُّ العِصْمَةُ بينها وبينَ زَوْجِها ، وهذِهِ هِي مِلْكُ اليَمينِ، وعِدَّتُها حَيْضَةٌ وَاحِدَةٌ ، رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ حُنَيْنٍ بَعَثَ جَيْشاً إِلَى أَوْطَاسَ ، فَلَقُوا عَدُوًّا ، فَقَاتَلُوهُمْ فَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ ، وَأَصَابُوا لَهُمْ سَبَايَا ، فَكَأَنَّ نَاساً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم تَحَرَّجُوا مِنْ غِشْيَانِهِنَّ مِنْ أَجْلِ أَزْوَاجِهِنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ: «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» [٣] ، أَيْ: فَهُنَّ لَكُمْ حَلَالٌ إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ " [٤].

فَلَمْ تَحْصُلْ أيُّ عَلاقةٍ بينَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم وصفيَّةَ بنتِ حُييٍّ إلا بَعْدَ أنْ انْقَضَتْ عِدَّتُها بحيضَةٍ ؛ اسْتبراءً لِرَحِمِها [٥] ، وأشْهَرَتْ إسْلامَها ، وَجَعَلَ مَهْرَهَا إعْتَاقَهَا ، ثُمَّ اتخذَهَا زَوْجَةً لَهُ . فَهُو لم يُجامِعْهَا وهِي يَهودِيةٌ ، ولا هِي أَمَةٌ ، بل زَوْجَةٌ وأُمٌّ للمؤمنينَ ، وَهَذِهِ مِنْ أَعْلَى الكَراماتِ والامتنانِ عَلى أهلِ الكِتابِ .

---

[١] السنن الكبرى، البيهقي (ت٤٥٨ هـ) :٩/٢٠٩

[٢] معرفة السنن والآثار ، البيهقي :١٣/٣١٢

[٣] سورة النساء /الآية ٢٤

[٤] أخرَجَهُ مسلم في كتاب الرضاع ، بابُ جَوازِ وَطءِ المسبيةِ بعدَ الاستبراءِ ، وإنْ كانَ لها زوجٌ انفسخَ نِكاحُها بالسبيِّ ، بالرقم (١٤٥٦/٣٣) .

[٥] بَقِيَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم في خَيبرَ أياماً عَديدةً يُحاصِرُ بَعْضَ الحصونِ ، وبعد أنْ انْتَهى الحِصَارُ وَفَتَحَ اللهُ عليه ، قَفَلَ رَاجِعاً ، وَجَعَلَ صَفيةَ في مُدَّةِ الإسْتبراءِ تَعْتَدُّ في بيتِ أمِّ سُليمٍ ، فلما انْقضَى الاسْتبراءُ وَبَلغوا سَدَّ الرَّوْحَاءِ طَهُرَتْ مِن حَيْضِها ، فَهَيئتها أُمُّ سُليمٍ وَزَيّنَتها وجمّلتْهَا على عَادَةِ العَروسِ ، بحيثُ أصبحتْ مُؤهلَةً للزواجِ ثُمَّ بَنَى بِهَا . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: " قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خَيْبَرَ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الحِصْنَ ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا، وَكَانَتْ عَرُوسًا، فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ بِهَا ، حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الرَّوْحَاءِ حَلَّتْ فَبَنَى بِهَا". أخْرَجَهُ البخاري في كتاب البيوع ، باب هل يسافر بالجارية قبل أن يَستبرئها ، بالرقم (٢٢٣٥).

الإشكال السادس:

الَّذِي يَذْكُرُ أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كيفَ طَابَتْ نَفْسُهُ أنْ يُعَاشِرَ امْرَأةً لم تَنْشَفْ دَمْعَتُها عَلى أبيها وأخيها وزوجِها الذينَ لم تُدْفَنْ جُثَثُهم بَعْدُ !! فَهذهِ شُبْهَةٌ وَاهيةٌ أيضَاً ؛ لأنَّهُ صلى الله عليه وسلم لم يَدخُلْ بها حتّى خَيَّرها بينَ الإسلامِ وبينَ الرُّجوعِ إلى مَنْ بَقِيَ مِن أهْلِها ، فاخْتارَتِ الإسْلامَ (١) .

عن أنس رضي الله عنه : "... أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَدِ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، وَغَنِمَ أَمْوَالَهُمْ، وَجَرَتْ سِهَامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَاصْطَفَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ فَاتَّخَذَهَا لِنَفْسِهِ، وَخَيَّرَهَا أَنْ يُعْتِقَهَا وَتَكُونَ زَوْجَتَهُ، أَوْ تَلْحَقَ بِأَهْلِهَا، فَاخْتَارَتْ أَنْ يُعْتِقَهَا وَتَكُونَ زَوْجَتَهُ " (٢).

وأخْرَجَ تمامٌ في فَوائِدِهِ مِنْ حَديثِ أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، قَالَ لَهَا: "هَلْ لَكِ فِيَّ؟" قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَتَمَنَّى ذَلِكَ فِي الشِّرْكِ، فَكَيْفَ إِذْ أَمْكَنَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ فِي الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: فَأَعْتَقَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَتَزَوَّجَهَا، فَقَالَ النَّاسُ: إِنْ هُوَ حَجَبَهَا فَهِيَ مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنْ لَمْ يَحْجُبْهَا فَلَيْسَتْ مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَرْدَفَهَا وَحَجَبَهَا، فَعَلِمَ النَّاسُ أَنَّهَا مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ (٣).

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ مِن طَرِيقِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ... وَرَأَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِعَيْنِ صَفِيَّةَ خُضْرَةً فَقَالَ :" يَا صَفِيَّةُ مَا هَذِهِ الْخُضْرَةُ ". فَقَالَتْ: كَانَ رَأْسِي فِي حِجْرِ ابْنِ حَقِيقٍ وَأَنَا نَائِمَةٌ ،

---

(١) وَالعَجيبُ أنَّ أحَدَهُم يقولُ : بقاءُ صَفيةَ مَع النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كانَ سَبَبُهُ انعدامَ أهلِها وفناءَهم ولم يبقَ لها أحدٌ فاضطرّتْ للبقاءِ معهُ ! وَهَذا وَاضِحُ البُطلانِ ؛ لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم صَالحَ قَوْمَهَا ، وَبلا خلافٍ عَيْشُها بينَ قَوْمِها خيرٌ مِنَ العَيشِ مَعَهُ لو كانَ ظالماً لها وَلِقَوْمِها – حَاشَاهُ صلى الله عليه وسلم – .

وعَلى فَرْضِ انعدامِ قَوْمِها أيضاً ، أليسَ الإنفصالُ عَنْهُ والعيشُ في بيتٍ وَحْدَها – دَاخِلَ المدينةِ – خيرٌ مِن عَيْشِها بينَ أذْرُعِهِ عَلى فِراشٍ وَاحدٍ ؟!! إذ النَّاسُ لا يُجالسونَ مَنْ لا يَرْتَاحُون مَعْهُ فَضْلاً عَن العَيشِ مَعَ مَنْ قاتلهم ! فكانَ بقاؤُها بَعْدَ التخييرِ مَعَه صلى الله عليه وسلم مَعَ وُجودِ البديلِ ، فيهِ دَلالةٌ على كمالهِ الخَلقِي والخُلقي ، وَحُبِّهِ لها وَعَدْلِهِ في حُكْمِهِ على ذَويها ! ويَا ليتَ شِعْرِي كيفَ يكونُ مُثيرُ هذهِ الشُبهةِ أحْرَصَ مِن صَفيةَ عَلى نَفْسِها وأهلِها !

(٢) أخْرَجَهُ الإمامُ أحمد في المسند : ٤٠١/١٩ بالرقم (١٢٤٠٩) .

(٣) الفوائد ، أبو القاسم تمام بن محمد البجلي (ت٤١٤ هـ): ٢٦٥/٢

فَرَأَيْتُ كَأَنَّ قَمَراً وَقَعَ فِي حِجْرِي ، فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ فَلَطَمَنِي وَقَالَ: تَمَنَّيْنَ مَلِكَ يَثْرِبَ. قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَبْغَضِ النَّاسِ إِلَيَّ ، قَتَلَ زَوْجِي وَأَبِي فَمَازَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيَّ وَيَقُولُ: " إِنَّ أَبَاكِ أَلَّبَ عَلَيَّ الْعَرَبَ وَفَعَلَ وَفَعَلَ " ، حَتَّى ذَهَبَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي (١) .

الإشكالُ السابعُ والأخيرُ :

أمَّا الجَوابُ عَن الإشكالِ الأخيرِ ، لماذَا حَصَلَ الإجْلاءُ أَصْلاً !! أليسَ مِنْ بَابِ أَخْذِ المُمْتَلَكَاتِ والسَّطْوِ عَليها بغيرِ حَقٍّ ، واليهودُ لم يُحاربوا أحداً ولم يَرْفَعُوا سَيْفاً في وَجْهِ مُسْلِمٍ ؟

فَأقولُ : إنَّ حُييَّ بنَ أخطبٍ سَيِّدُ النَّضيرِ (٢) ، الَّذينَ أجْلاهُمُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم ، يُعَدُّ مِنْ أَخْبَثِ النَّاسِ ومِنْ أَكْثَرِهم مَكْراً وأذىً للمسلمينَ ؛ بِسببِ خِيانتِهِ ، ونَقْضِهِ للعهودِ والمواثيقِ ، وَغَدْرِهِ بالنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم مَرَّاتٍ وَمَرَّاتٍ (٣) ، فما جَزَاءُ الخَائنِ في كُلِّ القوانينِ السَّماويَّةِ والأرْضيَّةِ إلا القَتْلُ .

---

(١) أخْرَجَهُ البيهقي في السنن الكبرى ، في جماع أبواب السير ، باب من قسمة الأراضي المغنومة ومن لم يرها ، بالرقم (١٨٣٨٧) .وأخْرَجَهُ ابن حبان : ٦٠٨/١١ بالرقم (٥١٩٩).

(٢) هُوَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ النَّضَرِيُّ ، سَيِّدُ يَهودَ بَني النَّضيرِ، كانَ يُنْعَتُ بِسَيِّدِ الحَاضِرِ والبَادِي ، وَالِدُ أمِّ المؤمنينَ صَفيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ ، أَدْرَكَ الإسْلامَ وآذى المسْلمينَ ، وكانَ مِن الأشِدَّاءِ العُتَاةِ ، شَرِبَ عَدَاوَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وأَصْحَابِهِ، حتَّى كانَ يقولُ عَن النَّبيِّ ×: "(انْظُرُوا إِلَى هَذَا الَّذِي لَا يَشْبَعُ مِنَ الطَّعَامِ وَلَا وَاللهِ مَا لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا إِلَى النِّسَاءِ) . وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبُهُ لَعَنَهُ اللهُ حَتَّى أَسَرَهُ المسلمونَ يَومَ بَنِي قُرَيظةَ ، فقُتِلَ صَبْراً بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ قَتَلَ مُقَاتِلَةَ بَنِي قُرَيْظَةَ .ينظر : البداية والنهاية ، ابن كثير (٧٤٤ هـ) : ٢٥٨/٣

(٣) ومِنْ صُورِ الغَدْرِ الَّتي سَلَكَها حُييُّ بنُ أخطَبَ واليهودُ أنَّهم أرْسَلوا إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم طالبينَ منهُ أنْ يَخْرُجَ في ثلاثةٍ مِن أصحابهِ ليلتَقِي بثلاثةٍ مِن عُلمائِهم ، زاعمينَ أنَّهم إنْ آمنوا به اتبعوهُ ، فَفَعَل ، فاشْتَمَلَ اليهودُ الثلاثةُ على الخناجِر – مَعَ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم عَاهَدَهُم على غيرِ ذَلِكَ – فَأرْسَلَتْ امرأةٌ مِنهم إلى أخٍ أَسْلَمَ تُخبِرُهُ بِمَكْرِهِم ، فَأَخْبَرَ أَخُوها النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قَبلَ أنْ يَصِلَ إليهم ، فَرَجَعَ وَصَبَّحَهُم بالكَتَائِبِ فَقَاتَلَهم .
وَمِنَ الصُورِ أيْضاً مَا فَعَلَهُ حُييُّ بنُ أَخْطَبَ يَوْمَ الأحْزَابِ إذْ بَقِيَ يَحُثُّ قُرِيظةَ على اسْتِنْقَاضِ العَهْدِ الَّذِي أَعْطَوهُ لِلنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم حتَّى نَقَضُوهُ . وَصُورٌ أخرى قَد امتلأتْ بها الكتبُ ، وَهِي شَاهِدَةٌ على خِزيهم وَعَارِهِم .ينظر: المصدر السابق :١٣٧/٤ وما بَعْدَهَا .

فَإجْلاءُ اليَهودِ لم يَكُنْ لأجْلِ المالِ كَمَا يُصوِّرُهُ لنَا الشيوعِيونَ والعِلمانيونَ وغيرُهم ، وإنَّما بِسَببِ الخِيانةِ والغَدْرِ والإرْجَافِ ، والدَّليلُ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم سَمَحَ لهم أنْ يَأخُذوا كُلَّ مَا أقَلَّتْ إبِلُهم إلا السِّلاحَ ، فَحَمَلُوا مَعَهُم كُلَّ شَيءٍ يَسْتَطيعونَ حَمْلَهُ حَتَّى أبوابَ بُيوتِهم وخَرَّبُوا مَنَازِلَهم ! إذْ لَو كانَ هَدَفُهُ مَا قَالوا لما تَرَكَ لهم إبلَهم والحملَ الَّذِي عَليها ! . وأيضاً لم يَثْبُتْ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قَاتَلَ إلا مِنْ غَدْرٍ ، بدليلِ وُجودِ اليهودِ في المدينةِ وعَدمِ التَّعرُضِ لهم بِسُوءٍ ، بلْ كُلُّ الأمَانِ وجميعُ الحقوقِ لهم ، وقَدْ تُوفي صلى الله عليه وسلم ودِرْعُهُ مَرْهُونةٌ عِند يَهوديٍ كَمَا ثَبَتَ في الصَّحيحِ .

خُلاصَةُ القَوْلِ :

والَّذِي أعْتَقِدُهُ – بَعْدَ هَذَا التِّجوالِ في كُتُبِ الحَديثِ والتَّاريخِ – أنَّ زَوَاجَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِصَفِيَّةَ بنتِ حُيِيّ فيهِ حِكَمٌ عَظيمةٌ وَمَقَاصِدُ نَبيلةٌ :

* فَهُو لم يَقْصِدْ بِزَواجِهِ مِنها قَضَاءَ شَهْوةٍ ، أو إشْبَاعاً لِغَرِيزةٍ كَما يَزْعُمُ الأفَّاكُون ، وإنَّما أرادَ إعْزَازَهَا وتَكْرِيمَهَا وَرَفْعَ مَكانتِها ، وَصِيانَتَها .

* وَأيْضاً أرادَ تَعْويضَها خَيْراً مِمَّنْ فَقَدَتْ مِنْ أهْلِهَا وَقَوْمِهَا .

* وَمِنْ جِهةٍ أخْرَى أرَادَ بِزَوَاجِهِ صلى الله عليه وسلم تَقْوِيةَ المصَاهَرَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اليهودِ ، عَسَى أنْ يكونَ هَذا مَا يُخَفِّفُ مِنْ عِدَائِهم للإسلامِ ، والانضواءِ تَحْتَ لِوائِهِ ، والحَدِّ مِن مَكْرِهِم وَسَعْيِهم بالفَسَادِ .

* وَمِنَ الحِكَمِ أيْضاً أنَّهُ أرَادَ بِزَواجِهِ إنْقَاذَهَا مِنْ ذُلِّ الرِّقِّ وَجَعْلِهَا إحْدَى أمَّهَاتِ المؤمنينَ .

* وَأخِيراً زَوَاجُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنْ صَفيَّةَ يَدُلُّ عَلى كَمَالِ رَأفَتِهِ وَشَفَقَتِهِ ، وَعَمَلِهِ بِمَا يَقُولُ ، وهَذَا مِنْ بَابِ قَوْلِ الفُضَيلِ بنِ عِيَاضٍ ﷺ : (إرْحَموا عَزيزَ قَوْمٍ ذَلَّ ، وَغَنِياً افْتَقَرَ ، وَعَالِماً بَيْنَ الجُهَّالِ)[١].

فَهَذِهِ أرْمَلَةٌ فَقَدَتْ أبَاهَا مَعَ أسْرَى بَني قُرَيْظَةَ المقْتُولينَ ، وَفَقَدَتْ زَوْجَهَا في مَعْرَكَةِ خَيْبَرَ وَهُما سَيِّدَا قَوْمِهما ، وَوَقَعَتْ في الأسْرِ والذُّلِّ . وَبَقَاؤُها تحتَ أَحَدِ أتْبَاعِهِ زَوْجَةً أو أمَةً ، ذُلٌّ لها وَكَسْرٌ لِعِزّهَا، ولا يَرْفَعُ شَأنَهَا وَيُجبرُ قَلْبَها إلا أنْ تُنْقَلَ مِنْ سَيِّدٍ إلى سَيِّدٍ فَكَانَ صلى الله عليه وسلم هُو أولى بِها .



([١]) المدخل إلى السنن الكبرى ، أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨ هـ): ١/ ٣٩٤

سيرة مختصرة للإمام (محمد بن سيرين رحمه الله سبحانه [١]

الباحث: سيف إسماعيل عبود الدليمي
سكرتير تحرير المجلة والتدريسي في الجامعة العراقية

اسمه نسبه وولادته :

هو الإمام محمد بن سيرين أبو بكر الأنصاري شيخ الإسلام الأنسي، البصري، مولى أنس بن مالك خادم رسول الله -صلى الله عليه وسلم وكان أبوه (سيرين) أحد سبايا مدينة (جرجرايا) من مدن العراق وهي من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي، تملكه أنس بن مالك، ولد في البصرة سنة (٦٥٣ م – ٣٣ هـ) قبل نهاية خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه بسنتين على الأصح ، وهو تابعي من أشراف الكتّاب وقد أدرك محمد ثلاثين صحابيا، وكان إمام وقته في علوم الدين بالبصرة.

صفاته وحياته العلمية:

كان ابن سيرين قصيرا، عظيم البطن، له وفرة، يفرق شعره، كثير المزاح والضحك، يخضب بالحناء، نشأ بزازا، في أذنه صمم، يذكر أنه كان في السوق، فما رآه أحد إلا ذكر الله تعالى، لم يكن كوفي ولا بصري له مثل ورعه، وذكر عنه أنه كان إذا ذكر الموت، مات كل عضو منه على حدة من شدة تأثره وخوفه من ذكر الآخرة، كان فقيها، عالما، ورعا، أديبا، كثير الحديث، صدوقا، شهد له أهل العلم والفضل بذلك، وهو حجة في الفقه والحديث ، كان يأتي بالحديث على حروفه، فيدوّن الحديث على لفظه، وكان حريصا على التثبت، فقد كان يحدثه الرجل، فلا يقبل عليه، ويقول: (ما أتهمك، ولا الذي يحدثك، ولكن مَن بينكما أتهمه) ، وهو القائل: (إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم) ، وكان يحدث بأحاديث الناس، وينشد الشعر، ويضحك حتى يميل وتدمع عيناه منه، فإذا جاء بالحديث من المسند ، كلح وتقبض، وكان أحذر الناس في الفتيا وأجرأهم في تعبير الرؤى، واشتهر بها وبالورع، قال الإمام الذهبي: « قد جاء عن ابن سيرين في التعبير عجائب يطول ذكرها، وكان

---

[١] مقتبس من كتاب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، والأعلام للزركلي رحمهما الله تعالى .

له في ذلك تأييد إلهي» وله كتاب (تعبير الرؤيا) ونسب إليه كتاب (منتخب الكلام في تفسير الأحلام) .

من شيوخه:

أدرك ما يقارب السبعين صحابيا، وقد تتلمذ على جملة منهم، كأبي هريرة، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عباس، وعمران بن حصين، وعدي بن حاتم، وعبد الله عمر، وأبي بكرة الثقفي، وشريحا القاضي، وخلقاكثير، رضي الله تعالى عنهم .

أشهر تلامذته:

روى عنه قتادة، وأيوب، ويونس بن عبيد، وعبد الله عون، وخالد الحذاء، وهشام بن حسان، وعوف الأعرابي، ومهدي بن ميمون، ويزيد بن إبراهيم التستري، وسعيد بن أبي عروبة، وشبيب بن شيبة، وقرة بن خالد، وسليمان بن المغيرة، وغيرهم، رحمهم الله تعالى.

وفاته :

مات ابن سيرين رحمه الله تعالى في البصرة أيضا، وقيل في الكوفة سنة (٧٢٩ م – ١١٠ هـ) بعد الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى بمائة يوم ، وهو ابن (٧٨) سنة، فرحمة الله سبحانه وتعالى عليه رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه .

وتدمع عين أُمتنا شجونا — ويعلوها النحيبُ من الفراقِ

لفقد دعائم الإسلام منهم — أبو بكر بن سيرين العراقي

ويُقبض علم أمتنا إذا ما — توالى قبض أرواحٍ حِذاقِ

وصلِّ يا ربِّ على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

بين الانحراف والاحتراف:

د. قصي مساهر المعموري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد – صلَّى الله عليه وسلَّم– وبعد:

فمن المعلوم لدى العقلاء وأصحاب الحصافة والنباهة أنه في كل يوم تداهمنا موجات من التضليل والتجهيل يقودها نكرات لا تعرف لهم سالفة. فكان الواجب على العقلاء من العلماء وأبناء الأمة أن لا تنجرف مع سلوكيات وترويجات، وعقائد العامة من الناس، فبعض العامة والمضللين تهرف بما لا تعرف.

والعالَم اليوم وللأسف يتأثر بالكثرة الكاثرة من الناس التي لا تفقه من دينها ودنياها شيئًا وخاصة في هذا الزمان، زمن الكذب والخداع والتغرير والترويج الإعلامي الخطير وعلى جميع الأصعدة والمجالات والتخصصات.

وقد استعمل الصَّعافِقة أسلوب التحريف والتخريف، وخلط الأوراق وتعمية السبيل عبر كهف الشيطنة والمكر والخديعة، وهو ليس بخفي ولا جديد، فهم يحاولون دائمًا أن يصطادوا في الماء العكر السذج من الناس، فتارة يحملون لواء الفضيلة بزعمهم، وتارة يحملون لواء إعمال العقل في فَهم النصوص، وهم في الحقيقة يسعون إلى تشويش العقل عن فهم النص وطمسه، وتارة باسم حرية اجتهاد الفكر الأبله. بل وصل المكر والخبث بالجهلة من الناس ومن على شاكلتهم من أصحاب الجهل المركب أن دخلوا بين العصا ولحائها، فدَسُّوا أنوفهم في أحكام الشريعة تحليلًا وتحريمًا، ولأحاديث النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم– تصحيحًا وتضعيفًا، وأطلقوا العنان للأحاديث الضعيفة والموضوعة والمكذوبة والتي لا أصل لها عبر هذه الوسائل المغرضة تنتشر كانتشار النار في الهشيم، فأتت على الأخضر واليابس. فغيبت أفكار المسلمين وألبست عليهم دينهم، وانساق وراءهم بعض من ينتسب إلى العلم، فتساهلوا في الحكم على الأحاديث بذريعة فضائل الأعمال وهم يعلمون يقينًا أن من استحسن فقد شرَّع. وشرَّقوا وغرَّبوا في ميدان الشريعة تمزيقًا وتعطيلًا، فكان عندهم للحب جلوات، وفي العشق زلات وعثرات.

وقد نبَّه لهذا الخلل والخطل ابن حجر العسقلاني في «تبيين العجب» (ص: ٢٣) فقال:

« اشتهر أن أهل العلم يتسامحون في إيراد الأحاديث في الفضائل وإن كان فيها ضعف، ما لم تكن موضوعة. وينبغي مع ذلك اشتراط أن يعتقد العامل كون ذلك الحديث ضعيفًا، وأن لا يشهر بذلك، لئلا يعمل المرء بحديث ضعيف، فيشرع ما ليس بشرع، أو يراه بعض الجهال فيظن أنه سنة صحيحة».

ومن أمعن النظر في هذه الضوابط عَلِمَ أنها لا تتأتى لآحاد الناس ولا أنصاف العلماء، فهذا بحر لجيٌ لا يخوض غماره إلا من أتقن الصنعة وأحسن التنقيب، أما أن يتصدر الحكم بعض من تفيهق أو تعلَّم أبجدية علوم الشريعة وسياستها ظنًّا منه أنه يريد رفع الحرج وتيسير الأمور على الناس، ولا يعلم هذا الغُمر أنَّ هذا الميدان له أهلُه وحُماته و« الخيل أعلم بفرسانها ».

فامتلأت عقول وقلوب بعض المسلمين بالعقائد الفاسدة والأفكار الهدامة، والسلوكيات المتحللة، والبدع المفسقة والمكفرة، وطغى النفاق المصلحي، فغُلِّقَت العقول وقالوا: هيت لكم.

وبعد الذي ذكرته لا تذهبوا بعيدًا في تخرصاتكم فتحسبوا أني أريد أن أخمل جذوة العقل وأطفئ سراجها، فالحقيقة التي خفيت معالمها عن أذهانكم أو تغاضيتم عن إدراكها هي أن منهجية المعرفة والاستدلال في الإسلام منسجمة مع العقل غير متعارضة معه، بل رفع الإسلام من منزلة العقل وجعله مناط التكليف والتفكر والتدبر، ووسيلة الفهم والإدراك، والاستنباط والنظر في الأدلة. وهو وسط في منزلته في منظور الشرع، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو في جعله حاكمًا على النصوص، ولا جفاء في إلغاء لحجيته في الاستدلال الشرعي.

وإياكم ومعارضة الوحي بالعقل فهذه الفكرة الخبيثة هي ميراث أبي مرة [إبليس]، فهو أول من عارض السمع بالعقل وقدَّمه عليه كما يقول ابن القيم.

ومن المعلوم عند العلماء والعقلاء أن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، علماً أنَّ الوحي هو الأصل، والعقل لا سبيل له إلى المعرفة على سبيل الاستقلال دون الإتكاء على النقل لا سيما في أحكام التشريع، ومسائل الاعتقاد والأمور الغيبية التي لا تقع تحت مدارك العقل،. وعليه فلا سبيل إلى الإهتداء وإدراك الحقائق إلا عن طريق الوحي.

يقول ابن القيم: « إن المعارضة بين العقل ونصوص الوحي لا تتأتى على قواعد المسلمين المؤمنين بالنبوة حقًّا، ولا على أصول أحد من أهل الملل المصدقين بحقيقة النبوة».

ويقول ابن تيمية في «الجواب الصحيح» (٣٩١/٤):

«إنه يجب الفرق بين ما يعلم العقل بطلانه وامتناعه، وبين ما يعجز العقل عن تصوره ومعرفته. فالأول: من محالات العقول، والثاني من محارات العقول، والرسل يخبرون بالثاني».

ورحم الله القائل: « إذا قصرت العقول عن درك الحقائق فيجب التسليم للعليم بها».



أما تلك الهرطقات التي نسمعها هنا وهناك فما هي إلا نفثات سُمٍّ يبثها من أُشرب قلبه وعقله بهوى الغرب ومدنيته الزائفة، وما يدندن به المستشرقون، فاختلط على الجاهل الحابل بالنابل، وإلا فالأمر مقصود والغاية من هذه الزوبعة تغييب العقل المسلم واغتياله عبر أسلوب التشكيك والتهوين والتمييع لمنهج الشريعة وروحها.

واليوم هناك دعوات وصيحات نحو إلغاء حجية الوحي سواء أكانت هذه الدعوات صريحة أم مبطنة، وما تلك الحلقات الحوارية الجدلية التي تبثها بعض القنوات الفضائية والتي تستضيف فيها بعض الشيوخ المأجورين أو المتعالمين حيث يسمح لهم ببث شبهاتهم وما يحملونه من حمق وحقد على نصوص الوحي وحملته بذريعة عدم العصمة كما فعل أسلافهم من قبل عندما تعرضوا للصحابة بذريعة عدم العصمة، وما هي إلا وسائل وشعارات خبيثة تسعى إلى النَيل من الإسلام ومصدريته.

ولا تظنوا أيها المفاليق وأنتم تسلكون مسلك المدلسين، وسبيل المجرمين أنكم تكسبوا رضى الغرب، فأنتم عندهم «أهون من قُعَيس على عمته».

وأنتم اليوم أشبه بأبي المرقال [الغراب] الذي أراد أن يقلد الحَجَل [القَبَج]، فلم يصب في تقليده، ونَسِيَ ما كان عليه، فأضاع المشيتين ولم يحسنهما.

وواجب العالِم العامل الرباني أن يحافظ على الشريعة من الدس والوثب على ثوابت الشريعة في الوقت الذي أصبح فيه التدليس وتزيين الباطل لا قوام له.

وبعض العلماء اليوم في مقام ضنك، ومعترك صعب أمام هذه الهجمات والصيحات المسعورة عبر أبواق الزندقة والتضليل، وقد فرط بعضهم بواجب الذود عن حياض الشريعة والتصدي لهذه الدعوات المضللة، مما جرَّأ أهل الفجور على البغي والفساد والتشكيك في أصول الشريعة وثوابتها.

وفي الختام أسال الله تعالى أن يعصمنا من الزلل، وأن يثبتنا على الحق ويجعلنا من أهله، وأن يجعل اعتصامنا بكتابه وسنة نبيّه– صلَّى الله عليه وسلَّم–.

((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ المعَلِّمُ القُدْوَةُ))

أ. د. مجيد حميد ناصر أحمد المشهداني

مدرس الحديث في الجامعة العراقية – كلية العلوم الإسلامية – قسم الحديث وعلومه

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وجنده، أما بعد:

إن المطلع على سيرة النبي ﷺ من أقوال أو أفعال أو صفات أو غيرها، يزداد يقينًا بعد يقين بأن هذا النبي الرسول مبعوث من الله سبحانهُ وتعالى برسالة يحتاجها واقع الأمة الآن فضلاً عن واقع الأمم جميعاً، ففي كل قولٍ من أقوالهِ أو فعلٍ من أفعالهِ ﷺ قدوة لأولي الألباب.

وإن أحد أهم منافع سيرته النيرة الشريفة هي طاعته وانقياده لربه سبحانه وتعالى في الأمور كلها، فلو نظرنا مثلاً عند خروجهِ ﷺ إلى بدر، فإن الله سبحانهُ وتعالى هو الذي أمرهُ بالخروج، ووعده بالنصر المؤزر الأكبر، فاستجاب رسول الله ﷺ للأمر الرباني، وقد قالها ﷺ بلسانهِ لجميع المؤمنين قبل بدء المعركة، قال لهم معقباً على كلام سعد بن معاذ ﷺ: (سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين)[1]، وهو ﷺ يشير في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧ ﴾(الأنفال: ٧).

ولكنه مع هذا الوعد الإلهي ومع يقينه ﷺ بالنصر ومع يقينه بصدق صحابته الذين قالوا له[2] (.... لا نقول كما قال قوم موسى لنبيهم: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ (المائدة: ٢٤)، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك، فرأيت النبي أشرق وجهه وسره يعني: قوله)[3].

---

[1] سيرة ابن هشام، ٢/٢٦٦.

[2] القائل: هو الصحابي الجليل المقداد بن الأسود ﷺ.

[3] صحيح البخاري، رقم: ٣٩٥٢.

ومع هذا كله وقف ﷺ يدعو ويناشد ربه بالنصر يوم بدر وهو يقول: ((اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد)) فأخذ أبو بكر ﷺ يده فقال: حسبك فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥﴾ (القمر: ٤٥).

وقد جاء في أحاديث أخرى أن النبي ﷺ قال: ((لما كان يوم بدر، نظر إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثة مائة وتسعة عشر رجلاً فاستقبل القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض")) فما زال يهتف مادًا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه على منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ٩﴾ (الأنفال: ٩). فأمده الله تعالى بالملائكة[١].

قال السهيلي: (وأما شدة اجتهاد النبي ﷺ ونصبه في الدعاء، فإنه ﷺ رأى الملائكة تَنْصَبُ في القتال وجبريل على ثناياه الغبار وأنصار الله يخوضون غمار الموت)[٢]. وهذا كان بعد الدعاء وبعد المناشدة، ثم ذكر بعد ذلك أن الجهاد على ضربين (جهاد بالسيف، وجهاد بالدعاء)[٣].

فقد استعمل الحبيب المصطفى ﷺ الجهادين على حد سواء فقد بدأ بإعداد العدة والعدد في الجهاد بالسيف، ثم أقام الجهاد الآخر، بالدعاء والتضرع والبكاء حتى دخل العريش هو وصاحبه الصديق حتى أخذته خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال: (أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع)[٤].

وفي هذا درس للمجاهدين الصادقين في سبيل الله فرسول الله ﷺ لم تأخذه الدعة والكسل والنوم في العريش إنما وقف أمام المجاهدين في سبيل الله وقف يستغيث بربه بالمدد وهو يقسم لصحابته الكرام

---

(١) صحيح مسلم، رقم: ١٧٦٣.

(٢) الروض الأُنف، ٣/٧٠.

(٣) المصدر نفسه، ٣/٧٠.

(٤) سيرة ابن هشام، ٢/٢٧٩. والنقع: هو الغبار المثار في أرض المعركة.

ويحرضهم على القتال فيقول: (والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجلٌ، فيقتل صابرًا محتسبًا مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة...)[1].

الله أكبر، ما هذا التوكل يا سيدي يا رسول الله، حقًا إنه الإيمان الصادق، المرتبط بالله الواحد الديان، فهل لنا أن نستفيد من هذا الدرس البليغ ونستغيث بالله تبارك وتعالى وندعو الله في الليل الأظلم متصلين به بالدعاء والبكاء وكثرة السجود، إذا كان هذا حال محمد المصطفى ﷺ المؤيد من الله، فكيف بحالنا نحن الذين ابتعدنا كثيراً عن منهج الله تبارك وتعالى.

وللنظر إلى درسٍ آخر، فحينما هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، كان من أولويات أعماله ﷺ أنهُ آخى بين المهاجرين والأنصار، والأخوة هي أول مبادئ القوة والانتصار على العدو، والاعتصام بحبل الله تبارك وتعالى وعدم التفرقة، وهو جوهر دعوة محمد ﷺ فقد جاءت هذه المبادئ في كثير من آيات القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ (آل عمران: ١٠٣)، وعلى هذه الأسس بُنِيَت دعوة محمد ﷺ.

فالدرس هنا هو أن التفرق والتشتت يعد السبب الأول في إضعاف الأمة، وقد قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ (الأنفال: ٤٦).

لذلك كان عمل النبي ﷺ الأول حين قدومه المدينة وإقامة دولة الإسلام، أنه دعا إلى التوحيد، وإقامة المسجد والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وقد ساهم هذا النظام الرباني المحمدي في ربط الأمة بعضها ببعض، وذلك بأساسها المتين المبني على قواعد صلبة، وبهذا البناء المحمدي سقطت جميع الفوارق، فلا عصبية ولا حمية ولا نسب ولا لون ولا وطن إلا (الإسلام) وقد جعل رسول الله ﷺ هذه

---

[1] سيرة ابن هشام، ٢/٢٧٩.

الأخوة عقدًا نافذًا لا لفظًا فارغًا وعملاً مرتبطًا بالدماء والأموال، والسبب الذي أدى إلى تقوية هذه الأخوة بين الفئتين أن المنتسبين لهذه الأخوة هم الذين التقوا على دين الله وحده، لا لمصلحة دنيوية ولا لرتبة سياسية، كان همهم نصرة هذا الدين وأن يتساوى قولهم بعملهم فهم أبعد ما يكونون عن الشعارات التي لا تتجاوز أطراف الألسنة، وكانوا على النحو الذي حكاهُ الله تبارك وتعالى عنهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٥١﴾ (النور: ٥١).

ولقد حصر الإسلام هذه الأخوة والموالاة بين المؤمنين فقط، قال تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٠﴾(الحجرات: ١٠).

وبهذه الأخوة التي قامت على التوحيد الخالص والموالاة الخالصة لله ولرسوله وللمؤمنين، والحب في الله، والبغض في الله، كل ذلك كان من أسباب التمكين لهذه الأمة المحمدية، وقد عملت هذه الأخوة على الصمود في وجه أقسى المحن التي نزلت بالمسلمين، ويكفي أن الله تبارك وتعالى امتدح هذه الأُمة وهذه الأخوة في هذا المجتمع الواحد فقال ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٩﴾ (الحشر: ٨ — ٩).

وهكذا كانت صفات المجتمعين المكونين من المهاجرين والأنصار، إذ إن الصفة التي يحملها المهاجرون هي (الصدق)، والصفة التي يحملها الأنصار هي (الفلاح)، فمن (الصدق، والفلاح) تكونت هذه الأمة، فأصبح كيانها وبنيانها واحداً؛ ولذلك حرص الرسول ﷺ على استمرار هذا الكيان بالصحة والسلامة، فقال عليه الصلاة والسلام عن الأنصار: (الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبهُ الله، ومن أبغضهم أبغضه الله)، فجعل رسول الله ﷺ حبهم هو علامة الإيمان، بل ضم المصطفى ﷺ نفسه إليهم فقال: (... لو أن الأنصار سلكوا وادياً أو شعباً لسلكت في وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار)[١].

---

(١) صحيح البخاري، رقم: ٣٧٧٩.



وأُحب أن أُشير إلى أن الآيات الأولى من سورة الأنفال، تحث على الأخوة أيضًا، وعلى إصلاح ذات البين، وإلى طاعة الله ورسوله، وحقيقة المؤمنين وما أعده الله تبارك وتعالى لهم، ثم بدأت الآيات تتكلم عن المعركة الفاصلة –معركة بدر– بين الحق والباطل، ورسول الله ﷺ هو قائد هذا الجمع، وهو المربي، وهو صاحب قانون الأخوة في الإسلام.

ومن سيرتهِ الشريفة أنهُ ﷺ ينصف الآخرين ولو كانوا من أعدائهِ، فعندما تكبر أهل الشرك على الله تعالى ولم يستجيبوا لدعوة الحق وعزموا على محاربة النبي ﷺ وجيشه، أشار بعض العقلاء منهم بالرجوع عن بدر طالما نجت العِير وأهلها لكنهم أبوا إلا القتال فقد كان ﷺ ينظر إلى (عتبة بن ربيعة) في القوم على جملٍ له أحمر فقال: (إن يكن في أحد من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا)[1].

وهنا إشارة إلى خلق المصطفى ﷺ في حفظ خلق الآخرين ولو كانوا أعداء الدين والإسلام، وإن كان مجيء "عتبة" لمحاربة وقتال المسلمين، لكن مع ذلك قال النبي ﷺ عنهُ: (إن يطيعوه يرشدوا).

فإن هذه الدروس المحمدية هي أصدق وأحق الكلمات، فيجب أن ننتهل منها العِبر ونستلهم منها العِظات؛ ونتمسك بها في جميع حياتنا وإلى الممات، حتى يرضى عنّا رب الأرض والسموات، ونفوز برغيد الآخرة ونعيم الجنات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم على سيدنا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ وسلِّم تسليماً كثيراً.

(١) ينظر: سيرة ابن هشام، ٢/ ٢٧٠-٢٧٣.

أثر القرائن في الترجيح
الترجيح بالجزم بالسماع المباشر والتحديث به مراراً، أنموذجا

أ.د. سامر سلطان الكبيسي

أستاذ الحديث وعلومه في جامعة الفلوجة

عضو مدرسة الحديث العراقية/ الفلوجة

الحمد لله حمداً يليق بشأنه وجلاله، وأصلي وأسلم على سيد خلقه وصفوة رسله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وبعد:

فإن علماءنا قد أعطوا أهمية لمشكاة الهدي النبوي واعتنوا به عناية كبيرة شرحاً وبياناً، إسناداً ومتناً لما تمثله من مصدر عظيم يعد الثاني بعد كتاب الله العزيز، وكان من أهم مواضيع هذا المصدر أن يتعرفوا صحيح سندها من سقيمها، وكان منها هي معرفة القرائن وآثارها التي كانت سبباً في جعل النقاد يرجحون في المختلف والمتعارض من الروايات وقبول كثير منها ورد الآخر، وقد اخترت نماذج لأصحاب الإمام الزهري باحثاً عن القرائن عند أئمة النقد في ترجيح بعض الروايات التي جاءت بأسانيدهم. مع أن ما تحصّل من ترجيح قائم على غلبة الظن والاستدلال العقلي والمقدمة المنطقية وذلك من خلال تتبع الروايات وطرقها.

وقبل الخوض في الموضوع أعرف القرينة:

فالقرينة لغة: فعيلة من فعولة وجمعها قرائن هي من الفعل قرن بمعنى جمع، تقول قرنت بين الحج والعمرة. أي: جمعت بينهما بإحرام واحد، ويقال لعقد الزواج عقد القران لأنه يقرن بين الزوج والزوجة، ومنه القرين أي المصاحب سواء كان في الخير أو الشر(١).

أما اصطلاحاً: لم تسعفنا المصادر الحديثة بتعريف للقرينة وذلك لوضوح معناها عند أئمة النقد، وأنه يمثل لهم كالحاسة السادسة في الإنسان، في حين تطرق أهل الفقه المتأخرين إلى تعريفها وبيان مرادها فقالوا: ((إنها أمر يشير إلى المطلوب))(٢).

---

(١) ينظر: الصحاح: ٦/ ٢١٧٩؛ لسان العرب: ٧/ ٣٤٠ مادة قرن.

(٢) القرينة وتطبيقاتها عن المحدثين: ٥٨.

وعرفها مصطفى الزرقا: بأنها أمارة ظاهرة تقارن شيئاً خفياً فتدل عليه، وغيرها من التعريفات التي تكون دلالاتها واحدة والله أعلم.

وقد استنبط الدكتور عبد القادر محمد تعريفاً حديثاً من مجموع تعريفات كثيرة فقال: هي العلامة الكاشفة أو الدالة على ثبوت العلة وانتفائها والمنقدحة في ذهن الناقد والمفيدة ضعفاً أو قوة فيما يتعلق بالراوي أو المروي عنه.

ومن هذه القرائن: الترجيح بالجزم بالسماع المباشر والتحديث به مراراً.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((رأيت النبي ﷺ وأبا بكر وعمر يمشون أمام الجنازة))

التخريج:

قلت: هذا الحديث روي مرفوعاً ومرسلاً.

فالرواية المرفوعة أخرجها أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه وأحمد والحميري وابن أبي شيبة والبزار وأبو يعلى[١] وغيرهم، كلهم عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه مرفوعاً به.

وقد تابعهم على هذه الرواية المرفوعة الترمذي والطبراني والبيهقي[٢]، كلهم عن طريق همام بن يحي عن سفيان بن عيينة وزياد بن سعد ومنصور بن المعتمر وبكر بن وائل كلهم سمع الزهري يحدث أن سالماً أخبره ... فذكر الحديث، مرفوعاً موصولاً.

أما الرواية المرسلة، فقد أخرجها الإمام مالك عن الزهري مرسلاً[٣]، ورواها أيضاً معمر بن راشد عن الزهري مرسلاً أيضاً[٤].

---

(١) أبو داود: ٣/ ٢٠٥ رقم (٣١٧٩)؛ النسائي: ٤/ ٥٦ رقم (١٩٤٤)؛ الترمذي: ٢/ ٣٢٠ رقم (١٠٠٧)؛ ابن ماجه: ١/ ٤٧٥ رقم (١٤٨٢)؛ أحمد: ٢/ ٨ رقم (٤٥٣٩)؛ والحميدي: ٢/ ٢٧٦ رقم (٦٠٧)؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٣/ ١٦٢ رقم (٦٣)؛ البزار: ١٢/ ٢٥١ رقم (٥٩٩٩)؛ أبو يعلى: ٩/ ٢٩٧ رقم (٥٤٢١).

(٢) الترمذي: ٢/ ٣٢٠ رقم (١٠٠٨)؛ الطبراني في الأوسط: ٦/ ١٦٧ (٦٠٩٦)؛ البيهقي في السنن الكبرى: ٤/ ٣٥ رقم (٦٨٥٧).

(٣) الموطأ: ١/ ٢٢٥ رقم (٥٢٦).

(٤) المصنف، للإمام عبد الرزاق: ٣/ ٤٤٤ رقم (٦٢٥٩).



١. ما يتعلق بالرواية المرفوعة:

أ. قال ابن حزم: ولم يخف علينا قول جمهور أصحاب الحديث أن خبر همام هذا خطأ ((يعني رواية الإرسال)) ولكننا لا نلتفت إلى دعوى الخطأ في رواية الثقة إلا ببيان لا يُشك فيه، وقد روينا عن طريق ابن أبي شيبة كان أصحاب رسول الله ﷺ يمشون أمام الجنازة، وقد جاءت آثار فيها إيجاب المشي خلفها لا يصح شيء منها ... وفي الصحيح الذي أوردنا كفاية، وبكل ذلك قال السلف[١].

وتابعهم ابن أخي ابن شهاب الزهري فرواه عن طريقه أحمد وأبو يعلى وغيرهما عن طريق محمد بن عبد الله بن مسلم بن أخي الزهري عن الزهري عن سالم عن أبيه مرفوعاً[٢]. ورواه البيهقي عن ابن جريج عن الزهري عن سالم عن أبيه فذكره موصولاً مرفوعاً[٣]، ورواه ابن عدي عن طريق عباس بن الحسن عن الزهري موصولاً مرفوعاً أيضاً[٤]. ورواه الطبراني عن طريق ابن لهيعة عن عقيل ويونس عن الزهري عن سالم عن أبيه موصولاً مرفوعاً[٥]. وروى أحمد عن طريق حجاج بن محمد قال: قرأت على ابن جريج، حدثني زياد بن سعد عن الزهري ... مرفوعاً[٦]، ورواه أحمد وأبو يعلى عن ابن جريج قال: أخبرني ابن شهاب ... [٧]، وأخرجه أحمد عن طريق عقيل بن خالد[٨]. وأخرجه ابن حبان عن طريق شعيب بن أبي حمزة كلهم رووه عن الزهري عن سالم عن أبيه[٩]. وتابعه أيضاً ابن أخي الزهري عن

---

(١) المحلى: ٣/٣٩٤.

(٢) المسند، للإمام أحمد: ٢/ ١٢٢ رقم (٦٠٤٢)؛ أبي يعلى: ٩/ ٣٥٤ رقم (٥٤٦٤).

(٣) المعرفة، للبيهقي: ٥/ ٢٦٨.

(٤)الكامل في أخبار الرجال، لابن عدي: ٦/ ٧ رقم (١١٨٥).

(٥)المعجم الكبير: ١٢/ ٢٨٦ رقم (١٣١٣٥).

(٦)المسند: ٢/ ٣٧ رقم (٤٩٤٠).

(٧)المسند، لأحمد: ٢/ ٣٧ رقم (٤٩٣٩)؛ أبي يعلى: ٩/ ٣٩٨ رقم (٥٥١٩).

(٨) المسند، لأحمد: ٢/ ١٤٠ رقم (٦٢٥٣).

(٩) صحيح ابن حبان: ٧/ ٣١٧ رقم (٣٠٤٨).

الزهري عن أنس بزيادة ((عثمان)) في المتن فقال: ((رأيت النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان يمشون أمام الجنازة))[١].

ب. نقل البيهقي عن ابن المديني قوله لابن عيينة: فقمت إليه، فقلت له يا أبا محمد (يعني سفيان بن عيينة)، إن معمراً وابن جريج يخالفك فيرسلان الحديث فقال ابن عيينة: استقر الزهري، حدثنيه، سمعته من فيه، يعيده ويبديه عن سالم عن أبيه.

قال البيهقي: واختلف فيه على عقيل ويونس بن يزيد، فقيل عن كل واحد فيهما عن الزهري موصولاً، وقيل: مرسلاً، ومن وصله واستقر على وصله ولم يختلف عليه فيه هو ابن عيينة، وهو حجة ثقة والله أعلم[٢].

رواية الإرسال:

قلت: أخرجها الإمام مالك في موطئه عن الزهري مرسلاً، ورواها عبد الرزاق عن معمر عن الزهري مرسلاً أيضاً[٣].

قال ابن عبد البر: والصحيح فيه عن مالك الإرسال، لكن قد وصله جماعة ثقات من أصحاب الزهري، منهم ابن عيينة وابن أخي الزهري وزياد وعباس بن الحسن وموسى بن عقبة...[٤]. وقال النسائي في الموصول المرفوع: هذا خطأ والصواب مرسل، وقال النسائي: (هذا الحديث خطأ وهم فيه ابن عيينة خالفهُ مالك رواه عن الزهري مرسلاً)[٥].

وقال الترمذي: حديث ابن عمر هكذا رواه ابن جريج وزياد من سعد وغير واحد عن الزهري عن سالم عن أبيه نحو حديث ابن عيينة، وروى معمر ويونس بن يزيد ومالك وغير واحد من الحفاظ عن

---

(١) الفوائد، لتمام: ١/ ٢٢٤ رقم (٥٣٨).
(٢) السنن الكبرى: ٤/ ٣٦ رقم (٦٨٥٩).
(٣) الموطأ: ٢/ ٣١٥ رقم (٥٢٦)؛ المصنف، لعبد الرزاق: ٣/ ٤٤٤ رقم (٦٢٥٩).
(٤) التمهيد: ١٢/ ٨٣- ٨٥.
(٥) السنن الكبرى: ٢/ ٤٢٩ رقم (٢٠٨٢).

الزهري أن النبي ﷺ ...، وأهل الحديث كأنهم يرون أن المرسل في ذلك أصح ثم نقل عن ابن المبارك والبخاري[١].

الترجيح:

قلت: الحديث المرفوع صححه ابن حبان والبيهقي وابن حزم كما سبق، وكذا صححه ابن عبد الهادي وابن الملقن[٢]، وهو الأقرب للصواب من وجوه:

الأول: نقل ابن عيينة قول الزهري تحديثه إياه وسماعه منه وإعادته بالوصل وهذا يقطع الشك عن القول بالإرسال.

الثاني: أن سفيان بن عيينة هو اتقن أصحاب الزهري، فقد نقل ذلك ابن المديني وأثنى عليه الثوري والشافعي[٣].

قال الذهبي: وما في أصحاب الزهري أصغر سناً منه (أي ابن عيينة) ومع هذا فهو من أثبتهم[٤].

الثالث: وقد عرض ابن القيم (رحمه الله) كلام المصححين لإرساله والمصححين لوصله، ثم نقل قول الترمذي.

فقال ابن القيم: يعني أن الحديث لسفيان وحده روى عنه همام وفي هذا نظر لا يخفى فإن هماماً قد رواه عن هؤلاء عن الزهري، ويبعد أن يكونوا كلهم دلسوه عن سفيان ولم يسمعوه من الزهري، وهذا يحيى بن سعيد مع تثبته وإتقانه يرويه كذلك عن الزهري وكذلك موسى بن عقبة. فلا شيء يحكم للمرسلين على الواصلين؟[٥].

الرابع: تبين من خلال التخريج أن أصحاب السنن وغيرهم كلهم رووه بالرفع وكذلك من خلال المتابعات لأصحاب الزهري بالرفع وهو إثبات لوصل الحديث ورفعه، وهو مقدم على من رواه بالإرسال، مع تخطئة ابن حزم لخبر همام بالإرسال، وأنه قول الجمهور، والله أعلم.

---

(١) العلل الكبير: ١/ ١٤٤ رقم (٢٤٧).

(٢) تنقيح التحقيق: مسألة رقم (٢٨٧)؛ البر المنير: ٥/ ٢٢٥.

(٣) طبقات ابن سعد: ٥/ ٤٩٧.

(٤) ميزان الاعتدال: ٢/ ٣٦٠.

(٥) تهذيب السنن: ٣/ ١٥١٧.

صيانة العَقْل

المبادئ العقليّة الأوّليّة (أهميّتها وخطورة الطّعن فيها) – الحلقة الثالثة

سمات المبادئ العقلية:

بإمعان النظر في المبادئ العقلية الأولية واستقراء ملامحها، تبرز سمتان مميزتان لها وهما:

١. **الفطرية**: وهي الأصل فيما يميزها من خصائص، ولهذا أكد عليها العقليون كلهم، وتنوعت عباراتهم الدالة على هذا المعنى: كالأولية، والبدهية والقبلية؛

أ- فكونها فطرية: نسبة للفطرة أو الجبلة التي يكون عليها الإنسان حال ولادته، أي أن الله سبحانه وتعالى خلقها في النفس البشرية قبل مباشرتها، أي أنّها معرفة خارجية، مع أنّها تتضح بعد ذلك وتتبين، ويكون هذا الوضوح سائقاً للنفس نحو مقتضياتها، وقد تتأثر بعوامل خارجية فتغفل النفس عن شيء منها، أو يخفت وضوحها، وهي مع ذلك مضمرة في النفس، تعود لوضوحها كلّما انجلى غشاؤها بالتذكير أو بزوال العالم الحاجب ونحوه [١].

ب- وأمّا كونها بدهية: فيراد بها إذا خُصّت بها تلك المبادئ كونها (لا تحتاج بعد توجه العقل إلى شيء أصلاً)[٢]، وأصل البده والبداهة والبديهة في اللغة: (أول كل شي وما يفجأ منه)[٣].

وقد أخَذَتْ مِن هذَيْنِ في هذا المجال؛ لأنها أول المعارف، من جانب، ولبروزها في عقل الإنسان بنفسها دون مقدمات تسلم إليها، من جانبٍ آخر.

()١ ينظر: تعارض العقل والنقل: شيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٤٨٩، ص ٤٤٦، و ص ٤٦١.

()٢ تعريفات الجرجاني، ص ٤٣.

()٣ القاموس المحيط – فصل الباء باب الهاء.

ت- وأما كونها قبلية: فهي أكثر رواجاً ووصفاً لهذه المبادئ في كتب الفلسفة المعاصرة، ترجمة لكلمة (APRIORI)[١].

وتعني قبلية المبادئ العقلية – عند ليبتنز وكانت –: تقدّمها المطلق على التجربة، ومع أن المعرفة عندهم لا تنطبق إلا عن طريق الإدراكات الحسية لذا فإن الفيلسوفيْنِ يُفسِّرانِ تقدّمها بأن التجربة لا تكون عِلْماً إلّا بالرّجوع إليها؛ فيكون تقدمها تقدماً منطقياً.

ث- وكونها أولية: فهي نسبة إلى الأول وهو الفرد الذي لا يسبقه، أو يقارنه غيره من جنسه. والأوليات العقلية يعرفها الجرجاني بما عرّف به البدهيات بأنها: (التي لا تفتقر إلى شيء أصلاً بعد توجه العقل إليها)[٢].

وهي – بعبارة أخرى – القضايا التي يوجبها العقل الصريح لذاته من جهة قوته المجردة، من غير معنىً زائدٍ عليها يوجب التصديق بها[٣].

وخلاصة سمة الفطرية: هو أن النفس مجبولة عليها، وكونها متقدمة على أي معرفة بشرية سواها[٤].

تحقيق كونها فطرية:

وقد يُشْكِلُ على البعض كون هذه المبادئ فطريةً وأنها كامنة في النفس مستغنية عن الاستدلال منذ الولادة، ولا دور للخبرة الحسية في ذلك (وهذا ما فهمه جون لوك ودعاه الى الرد عليه) – نقول:

– قد يُشكلُ هذا مع شهادة الواقع بعدم وجود أي معارف عن الإنسان عند ولادته، وكذلك الآية الكريمة ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا...﴾ من التعميم في النفي.

وحلّ هذا الإشكال أن يُعلم أنه لا يلزم من القول بفطريتها أن تكون متحقّقةً بالفعل، بل يمكن أن تكونَ فطرية مع أنّ وجودها إنما هو بالقوة لا بالفعل، بمعنى أن الإنسان مفطور على التسليم بها

()١ باللغات الإنجليزية والفرنسية واللاتينية. ينظر: المعجم الفلسفي، ٢/ ١٨٤.

() ٢التعريفات: ص ٣٩.

() ٣معيار العلم: أبو حامد الغزالي، ص ١٥٩.

() ٤ ينظر: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٣٣١-٣٣٢.

بمجرد تصورها، بحيث لا يحتاج في ذلك إلى برهان؛ فهي فطرية لا بمعنى أنها كامنة في النفس، وإنما بمعنى أن الغريزة العقلية تقتضيها بالضرورة، وعلى هذا فليست فطريتها هي مجرد إمكانها، بل هي وجود تحققها مع سلامة الحواس والغريزة العقلية[١].

وإلا فقد يمنع من ظهور مقتضى الفطرة الإفسادُ الخارجيّ؛ كما نبّه إليه النّبيّ صلى الله عليه وسلم في قوله: ((**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يهَوِّدَانِهِ أَوْ ينَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**)) رواه البخاري[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "أمّا أنه لا تقوم معرفةٌ لدى الإنسان إلّا بعد إدراكه الحسي، فهذا صحيح، ولكنه لا يعني أن المعرفة تنبثق من الحسّ مستقلاً، وإنما يعني أن هذه المبادئ لا يظهر أثرها إلّا من خلال حدوسٍ تَكونُ مجالَ فاعليتها، فهي مستكنة في العقل الإنساني منذ ولادته دون أن تكون إذ ذاك علماً، كما قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ النحل:٧٨، فإذا تفاعل الإنسان بعد ذلك مع الوجود المحيط به عن طريق الإدراكات الحسية المتفرقة؛ برزت هذه المبادئ لتؤدي دورها في الارتفاع بهذه الإدراكات إلى مستوى المعرفة الإنسانية، ولتهدي الإنسان إلى ما وراءها من حقائق" [٣].

٢. **العمومية**: ويراد بها – عند العقليين – شمول هذه المبادئ القبلية ومقتضياتها لكل العقول بحيث تكون الحقيقة واحدة عند جميع الناس العاقلين على السّواء، ولا تتوقف على مزاج أحد، ولا تنسحب على فردٍ دون فردٍ.

ويرى (ديكارت) أن العقل أحسن الأشياء توزّعاً بين الناس بالتساوي، ويقول في جوابه على سؤال مفترض: (لماذا اختلف الناس في المعرفة النظرية وتناقضوا مع أن منطلقهم ومبنى معارفهم

()١ المعرفة في الإسلام: عبد الله القرني، ص ٣٠١-٣٠٢.

() ٢شموع النهار، ص ٣٠.

(٣) درء تعارض العقل والنقل، ص ٣٦٠.

واحد؟): "إنّ هذا ينشأ من أننا نوجّهُ أفكارنا في طرقٍ مختلفة، ولا ينظر كلٌّ منا في نفس ما ينظر فيه الآخر، لأنه لا يكفي أن يكون للمرء عقل سليم، بل المهم أن يستخدمه استخداماً سليماً"(١).

وهل هذه العمومية لكل العقول بدرجة واحدة من الحضور والوضوح والبداهة؟ أم إنّهم يتفاوتون في ذلك؟

هذه المسألة تتنازعها عدّة أقوال، خلاصتها ما ذكره الدكتور عبد الرحمن الزينيدي: "ويمكن القول في هذا: إن حضور تلك المبادئ ليس على درجة واحدة لدى العاقلين كلهم، بل تكون على درجات متفاوتة، ولكن ذلك لا يعني أن المبادئ هي في ذاتها نسبية في دلالتها على الحقيقة، وإنما تأتي النسبية من حيث صلة الناس بها ومدى تفاعلهم معها، وأسباب التفاوت هذا كثيرة من أهمها: الركون إلى الحياة البهيمية التي تقوم على الغرائز الدنيا، وتأثير الجانب المادي في الإنسان على حركته الفكرية، ونحو ذلك، فمثل هذه تحتاج تذكيراً بتلك المبادئ المستقرة فيها وبعثاً لها فيتم حضورها، على أن كبار هذه المبادئ لا يمكن لإنسانٍ أن يكابر فيها إلّا أن يكون فاقدَ العقل، منحرفَ الفطرة تماماً، مثل: أنّ النقيضين لا يجتمعان، وأن الكلّ أكبر من الجزء ونحوها"(٢).

موقف الحسِّيينَ من المبادئ العقلية الأولية(٣):

تقرر فيما سبق أن المبادئ الأولية فطرية، وأن القول بفطريتها يتضمن أمرين:

١. أن العقل هو مصدر تلك المبادئ.

٢. أن دليل صدقها هو مطابقتها للغريزة العقلية.

---

(١) رينيه ديكارت، مقال في المنهج، ترجمة: محمد محمود الخضيري، ص ٣ و ٤.

(٢) مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٣٣٦.

(٣) نقلا عن كتاب المعرفة في الإسلام، ص ٣٠٦ – ٣٢٣، بتصرفٍ واختصار.

لكن الحسّيينَ (التجريبيين، الماديين) أنكروا هذين الأصلين، وبالتّبع فقد أنكروا ما يترتب عليها، إذ إنّهم نَفَوا أنْ يكونَ العقلُ مصدرَ هذه المبادئ، وجعلوا الخبرة الحسية هي مستند تلك الضرورة والمبادئ (على تفاوتٍ بينهم في تحديد كيفيتها)، بناءً على أصل مذهبهم هو أنّ الحس هو مصدر جميع المعارف، ولا يختص العقل بشيء منها استقلالاً، واستندوا على ذلك بما يلي:

١. **فيما يتعلق بمصدر المبادئ الأولية**؛ يجعلون الحواسّ هي المصدرَ الوحيدَ للمعرفة، ولا يستقلّ العقل بشيء منها، وكلّ معرفةٍ حاصلة في العقل فأصلها حِسّيّ، والغريزة العقلية مُنفعلةٌ لا فاعلة، أو كما عبّر عنها (هيوم) (أشبه بمسرح تتعاقب عليه الإدراكات الحسية)، ويستدلون على هذا الطرح بأنّ:

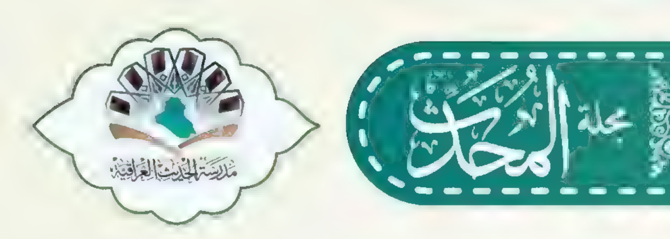
أ- تحليل المعرفة يدلّ على أن جميع المعارف ترجع إلى خبرات حِسِّيّة.

ب- من حُرِمَ قوةً حِسِّيّة؛ حُرِمَ ما تقتضيه من معرفة.

ويجاب عن الدليل الأول: بأنه لا يُسَلَّمُ أنّ جميع الأفكار حِسِّيّة؛ بل هناك أفكار عقلية خالصة، وبيان ذلك أولاً: أن المبادئ العقلية الأولية تختص بخاصّتين هما (التعميم والضرورة): والمقصود بالتعميم: أنها أحكام كلية مطلقة، لا تختص بموجود عن موجود، بل تعمّ المشاهَد المحسوس وغير المحسوس، في حين أنّ الأفكار الحسية لا تختص إلّا بالمحسوس، فعدم إمكان مخالفة هذه الأحكام مطلقاً دلّ على فطريتها وعدم كونها تجريبية.

ومعنى كونها ضرورية: يُقصد به أن العقل يسلم بها بلا برهان، بل بمجرد تصورها. وهذه الضرورة لا يمكن أن تكون حِسِّيّة تجريبية؛ إذ إنّ الإدراك الحِسِّيّ إنما يدلّ على الوقوع الدالِّ على مجرّد الإمكان؛ فلزم أن يكون مصدرُ الضرورة في هذه المبادئ هو العقل، لا مجرّدُ الإدراك الحِسِّيّ.

وثانياً: أن التجربة لا تعطي أبداً لأحكامها صفة الكلية الحقيقة الدقيقة، بل صفة الكليّة المفترضة والنِّسبيّة بالاستقراء، وتبعاً لذلك فإنّ الحكم المتصور أنّه ذو كليّةٍ دقيقة؛ بمعنى أنّه لا يمكن إيرادُ استثناءٍ عليه، لا يُشتقّ من التجربة، بل يتّصف بصفة الصِّدق القبليّة مطلقاً، إذن؛



فالضرورة والكلية الدقيقة هما العلامتانِ الأكيدتانِ على معرفةٍ قبليّة، وهما مرتبطتان كلتاهما بالأخرى ارتباطاً لا انفصام له، وبانتفاء الكلية والضرورية لا يمكن أن تُبنى عليه أحكامٌ يقينيّة. وبهذا يُعلم بطلانُ ما استدلّ به الحِسِّيّونَ على نَفْيِ فطرية المبادئ العقلية الأولية وأنّ مصدرها العقل، وقولهم إنّ تحليل الأفكار يدلّ على أنها حسيّة في أصلها؛ إذ لا يمكن أن تكون الضرورة والكلية الثابتتان لمبادئ العقل ناشئةً عن التجربة، بل هي أحكامٌ عقليّةٌ فطريّةٌ غيرُ مستمدةٍ من التّجربة والخبرة الحسّيّة.

ويُجاب عن الدليل الثاني: وهو قولهم: (إنّ مَن حُرِمَ حاسّةً حُرِمَ الأفكارَ الي تترتب عليها، ومَنْ حُرِمَ جميعَ الحواسِّ فإنه لا يمكن أن يعرفَ شيئاً)، فهو غيرُ مُسَلّمٍ به؛ لأنّه في الحقيقة لا تعارضَ بين فطرية المبادئ العقلية الأولية واشتراط الإدراك الحِسِّيِّ لتحقّقها، إذ أنّ المقصود بفطريتها (كما قرّرنا سابقاً) هو وجودها بالقوّة، والوجود بالقوّة إنّما ينتقل إلى الوجود بالفعل مع تحقّق شروطه وانتفاء موانعه، ومبادئُ المنطق والعقل الأوليّة إنّما تتحقّق باشتراط سلامة الغريزة العقليّة وسلامة الحواسّ.

وإذا كان مَنْ سَلِمَتْ حواسُّهُ لم تتحقّق له مبادئ المنطق إلّا مع سلامة غريزته العقليّة، فكذلك مَنْ سَلِمَتْ غريزته العقليّة بإنّها لن تتحقّق له تلك المبادئ إلّا مع سلامة حواسِّه. واشتراط سلامة الغريزة العقلية هنا ظاهر؛ لأنها مصدر تلك المبادئ ومستند صدقها على ما سبق بيانه. وأما اشتراط سلامة الحواسِّ هنا فلأنّ المبادئ العقليّة الأوليّة أحكامٌ كليّة، وكلّ حكمٍ كليٍّ لا يمكن تحقّقه دون تصوّر جزيئاته.

٢. **وأما ما يتعلّق بمستند صدق المبادئ الأولية عند الحِسِّيِّينَ**: فإنّهم حين نَفَوا أن يكون مصدرُ هذه المبادئ هو العقل قد ترتّب عليه التزامهم بأنها ليست ضروريّة وأنّ العقل ليس مستندَ صِدْقِها، وخرج عن هذا التقرير أصحابُ المنطقيّة الوضعيّة – وهُم مِن أتباع المذهب الحِسِّيِّ– فقالوا بأنها ضروريّة ويقينيّة دون أن يكون العقلُ مستندَ صدقها، فأمّا القول الأول بأنها

ليست ضروريةً فيُرَدُّ عليه ببيانِ كونها ضروريّة فطريّة وهذا قد بيّنّاهُ سابقاً،

وأمّا قول أصحاب المنطقيّة الوضعيّة الذين أقرّوا بكونها ضروريّة دون أن يكون العقلُ مستندَ صدقها، فإنّ لهم وجهيْنِ في بيان مستند ضرورة المبادئ العقلية الأولية:

أ- **الأول**: أنها لا تتضمن خبراً عن الواقع، ولا يضيف جزؤها الثاني إلى جزئها الأول معنىً جديداً، بل الثاني مفهومٌ من الأول، إمّا بدلالة التّطابق وإمّا بدلالة التّضمن، ويكفي فيه مجرّد تصوّر الموضوع، وأسموها بالتّحليليّة أو التّكراريّة، مثل (الأعزب غير متزوج) أو (أ هي أ)، أمّا القضايا الخبريّة فهي تركيبيّة، بمعنى: أنّ ما يُذكر في تاليها يُضاف إلى مُقدّمها ولا يُفهم بمجرّد التّحليل، مثل (الحديد يتمدّد بالحرارة)؛ فتمدّد الحديد بالحرارة لا يُفهم من مجرّد تصوّر الحديد؛ فقرّروا أنّ التّحليليّة تكون يقينيّة بالضّرورة، والإخباريّة لا يلزم يقينُها وصدقُها ضرورةً.

ويُجاب عن هذا بأنّ الضّرورة في هذه القضايا لم تستند على كونها تحليلية فقط، وإنما ترجع إلى مبادئ أولية قبلية، مثل قولنا (أ هي أ) أو (الماء هو الماء)، فإنها تستند إلى مبدأ عقلي ضرورية وهو الذاتية، ومبدأ الذاتية ليس مجردَ تكرار الموضوع في المحمول، وإنما هو حكم عقليّ ضروريّ، يتضمّن الإثباتَ والنّفي ويستند إلى تمييز الحقائق بخصائصها. وضرورة الإثبات والنفي هنا تستند إلى استحالة الجمع بين النفي والإثبات، وإلّا كان ذلك مناقضة لمبدأ عدم التناقض، وهو مبدأ عقلي ضروري أيضاً.

وبهذا يُعلم أنّ هذه القضايا ليست تحليلية محضة؛ لأنّ الحكم بضرورة الإثبات والنّفي ليس متضمناً في جزء القضية الأول، وإنماء يستند إلى حكمٍ عقليٍّ خالص، فيلزم أنْ تكونَ هذه الصّورة إخباريّة لا تحليليّة.

ب- **والوجه الآخر**: (إنّ حقائق المنطق تقوم على قواعد استخدامنا في اللغة، وما دامت هذه القواعد من صنعنا فإنه يجب أن تكون حقائق المنطق من صنعنا كذلك، وتسمى

هذه النظرية نظرية المواضعة اللغوية)[١]، وهم يُفسّرونَ الاتّساق أو عدم الاتّساق بين الألفاظ وفقَ تلك المبادئ التي هي عندهم مجرّد قواعد اتفاقيّة. فيقولون مثلاً: إنّ لفظ (أبيض) مُتّسقٌ مع لفظ (مربّع) لإمكان اجتماعهما، لكنّ لفظ (أبيض) ليس مُتّسقاً مع لفظ (أسود) لاستحالة اجتماعهما. وهذا لا يرجع عندهم الى ضرورةٍ عقليّة، وإنّما إلى مجرّد أنّ هذه أحكامٌ وقواعدُ اتّفق عليها النّاس، والمبدأ لا يمكن أن يُناقش لمجرّد أنّه (موضع اتفاق).

ويُجاب عن هذا الفرض: بأنه لا يمكن الاتفاق على المبادئ المنطقية دون أن يستند ذلك إلى ضرورةٍ عقليّة، وإلّا فكيف أمكن الاتفاق والمواضعة على تلك المبادئ إذا لم تكن مؤسّسةً على ضرورةٍ عقليّةٍ مشتركة بين النّاس تقتضي ذلك الاتفاق، وإلّا أمكن أن يتفق الناس على مبادئَ منطقيّةٍ مناقضةٍ لهذه المبادئ.

وحاول بعضهم التوفيق بين هذين القولين المتعارضين عند الحسّيّينَ وأصحاب المنطقية الوضعية بأن الضرورة نسبية، فتكون ضرورةً في زمنٍ دونَ آخرَ بحسب ما يُتواضع عليه، ولا دليل لهم في ذلك إلّا ادعاؤهم أنّ (الفرض في كلِّ الحالات مُسَلَّمٌ به لأنه مجرّد فرض)، لكنّ هذا الادعاء مبنيٌّ على قولهم: إنّ المبادئَ المنطقيةَ اتفاقيةٌ وليست أوليّةً، وهذا فاسدٌ كما بيّناهُ سابقاً.

والحاصل أن أصحاب نظرية المواضعة اللغوية قد ناقضوا الحقيقة؛ إذ الأصل أنْ يُقالَ إنّ الاتفاق على قواعد استعمال اللغة تحقّق على وفق مبادئَ عقليّةٍ ضروريّة، وليس العكس.

وإذا علمنا أن الاتفاق على المبادئ المنطقية لا بد أن يستند إلى ضرورة عقلية؛ فلا يمكن أن يكون الاتفاق على تلك المبادئ هو مستند تلك الضرورة، وإلّا لزم الدّورُ

---

(١) المنطق الرمزي ونشأته: د. محمود فهمي زيدان، ص ١٩٤.



الممتنع، إذ يكون الاتفاق على المبادئ متوقفاً على ما يتوقف هو عليه، وعلى هذا فإن ضرورة المبادئ المنطقية لا يمكن أن تستند إلى كونها اتفاقية، وإنما كانت اتفاقية لاستنادها إلى الضرورة العقلية.

ومن جميع ما تقدم يُعلم أن أصحاب الوضعية المنطقية، سواءٌ قالوا (إن المبادئ المنطقية مجرّدُ تحصيلٍ حاصلٍ، بمعنى أن صدقها قائم على كونها ترجع إلى مجرّدِ رمزٍ مُكرّر)، أو قالوا بالمواضعة اللغوية، فإنه يلزمهم أن يُثبتوا أنّ الضّرورةَ هي لتلك المبادئ العقلية نفسها، فتكون - تبعاً لذلك - فطريّة.

وإنْ لم يلتزموا بذلك؛ لزمهم نَفْيُ الضّرورة عن تلك المبادئ؛ لأنّه لا يمكن الحكم بالضّرورة مع نَفْيِ استنادها إلى العقل.

يتبع...

من إشراقات دورة صناعة الناقد الحديثي
شبهة على حديث: "من أطاعني فقد أطاع الله" والجواب عنها

الباحث: عبد الحميد حمداوي

إشراف: أ.د. ندى عبد الله

الحمد لله رب العالمين، أرسل رسله مبشرين ومنذرين، وأمر العباد بطاعتهم ليهتدوا إلى صراط الله المستقيم، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، المبعوث رحمة للعالمين، اصطفاه ربه بنبوته ورسالته وأنزل عليه الكتاب والحكمة، وأمره باتباع ما أوحي إليه وتبليغ ما أنزل إليه، فقام صلوات الله وسلامه عليه بتبليغ الرسالة، وأداء الأمانة، أرشد ونصح، وبين وأوضح، وأكّد الفرائض وسنّ السنن، فسلك بأمته المباركة أقوم طريق وأهدى سنن، صلى الله عليه أتم صلاة، وأعظمها، وأفضلها وأكرمها، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا هداة مهديين، للحق مظهرين، وعلى البر والتقوى متعاونين، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أما بعد:

فإن الله تعالى قد أعذر إلى خلقه في نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، حيث جعل طاعتَه كطاعة الله سبحانه؛ فقال عز وجل: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[النساء: ٧٩]، ومع وضوحِ هذا الأمرِ، واستقراره في قلبِ كلِّ مؤمن اعتقادًا وإيمانًا، وانعقاد إجماع علماء الأمة عليه؛ فقد خالفته طوائف من منكري السنة النبوية قديما وحديثا، محاولين تفريغَ السنة النبوية من مقصدها الأسمى ومرادها الأعلى؛ ولا غرابة في أن يقع ذلك منهم؛ فطبيعتهم دائماً عندما يعجزون عن مقاومة الحق، وعندما يظهر الحق بنوره، يكابرون ويجادلون فيسمون الحلو مُرّا، والمر حلوا، والحق باطلا والباطل حقا.

في ظل هذا الواقع المشار إليه، ارتأيت أن أضع هذا المقال بين يدي القارئ الكريم؛ والمتمحور حول رد شبهة زكريا أزون حول حديث الطاعة:" من أطاعني فقد أطاع الله..."، ثم سيتبعه مقالان بحول

الله وقدرته لرد شبهة عز الدين نيازي، وشبهة جمال البنا للحديث نفسه؛ ويأتي هذا الإسهام بهدف إبعاد الشبهة عن السنة النبوية المطهرة، المحفوظة بحفظ الله عز وجل.

معتمدا في ذلك بعد الله عز وجل على كتب التفسير وشروح السنة النبوية الشريفة، وكتب اللغة والأصول،

فأقول وبالله التوفيق، ومنه أستمد العون والهداية.

أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جنّة يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا، وإن قال بغيره فإن عليه منه)[1].

مضمون الحديث.

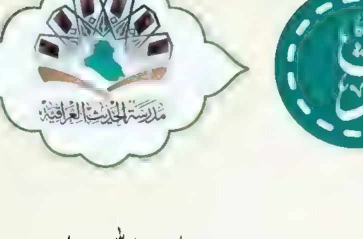
في هذا الحديث نبه نبينا صلى الله عليه وسلم على أن من أطاعه - صلى الله عليه وسلم — فيما أمر به، فقد أطاع الله لأنه صلى الله عليه وسلم لا يأمر إلا بأمر الله، فليست الطاعة له بالذات، وإنما هي لمن يبلّغ عنه، وهو الله عزّ وجلّ، فمن فعل ما أمر به - صلى الله عليه وسلم — فإنما أطاع من أمره حقيقة وهو الله، ومن عصاه فيما نهى عنه، فقد عصى الله تعالى، وأصل الطاعة الانقياد، والمراد بها الإتيان بالمأمور به والانتهاء عن المنهي عنه والعصيان بخلافه.

ثم أشار -صلى الله عليه وسلم- إلى أن من يطع الأمير فقد أطاعه- صلى الله عليه وسلم — ، ومن يعص الأمير فقد عصاه - صلى الله عليه وسلم — إذ إن كل من يأمر بحق وكان عادلا فهو أمير الشارع لأنه تولى بأمره وبشريعته[2]، والمراد بالأمير؛ أمير السرية أو ولاة الأمور مطلقا، إذ العبرة بعموم

---

(١) - هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، ، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، حديث رقم: ٢٩٥٧، وله طرق أخرى عن أبي هريرة وغيره من رواة الحديث؛ وبالجملة فإن الأحاديث التي تحث على طاعة الأمير أحاديث صحيحة ثابتة في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة.

(٢) - فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، (ج: ١٣/ ص: ١١٢)/ لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبي الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية —



اللفظ لا بخصوص السبب، والمراد بالإمام الحاكم الأعلى القائم بشؤون الأمة، شبهه -صلى الله عليه وسلم- بالسترة لأنه يمنع العدو من أن يؤذي الرعية، ويمنع الناس من أذى بعضهم بعضا، ويرجع إليه في الرأي والتدبير، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا، وإن أمر بغير تقوى الله تعالى وعدله، فإن الوبال الحاصل منه عليه لا على المأمور[1].

وبالجملة فإن هذا الحديث يؤكد على وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم واتباع ما جاء به، ويحث أيضا على طاعة الأمير في سياسة شؤون الرعية بالدين الإسلامي، والترغيب في ذلك، والتحذير من مخالفته، وتحريم معصيته، وبيان الوعيد الشديد في ذلك، وقد وردت أحاديث كثيرة في هذا الشأن، زادت معنى هذا الحديث توكيداً وتوضيحاً وبيانا، بحيث إنها لم تدع مجالاً لمتأول يؤولها، أو محرف يغير معناها بهواه ورأيه الفاسد.

سوق شبهة زكريا أزون لحديث: ((من أطاعني فقد أطاع الله ...)) ؛ والرد عليها.

سوق شبهة زكريا أزون.

بعد ما ذكر زكريا أزون – في كتابه جناية البخاري –حديث رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني).

قال:" الحديث يبيّن بوضوح تام أن طاعة الأمير تؤدي إلى طاعة الرسول التي تؤدى بدورها إلى طاعة الله، وكذلك فإن معصية الأمير تؤدى إلى معصية الرسول التي تؤدى بدورها إلى معصية الله، إذاً، فمن أراد أن يطيع الله عليه طاعة أميره ومن يعصي أميره فإنه يعصي الله، وبالتالي فإن قدَر الحاكم هو قدَر الله ولا مجال لرده[2]!

وقفات في دفع هذه الشبهة:

بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ ، (ج:١ / ص: ٣٩٢)/ الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، الناشر: دار المنهاج – دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، (ج: ٢٠/ ص: ٥٠)/ الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، لصهيب عبد الجبار، تاريخ النشر: ١٥ – ٨ – ٢٠١٤، (ج: ١/ ص: ٣٤١)، بتصرف.

(١) – صحيح البخاري: (ج: ٣/ ص: ١٠٨٠)/ ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ، (ج: ١٣/ ص: ١١٢) / الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، لصهيب عبد الجبار، تاريخ النشر: ١٥ – ٨ – ٢٠١٤، (ج: ١/ ص: ٣٤١).

(٢) – كتاب جناية البخاري للكاذب زكريا أوزون، الناشر: رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة: الأولى ٢٠٠٤م، ص: ٩٦.

أ – الوقفة الأولى:

أقول لمدعي لهذه الشبهة؛ إن هذه الفرية في الحقيقة هي فرع عن شبهة ادعاها قبلك بعض المنافقين الذين يرهقهم وجود العدل وألفوا الحياة في الظلام؛ لما قال النبي– صلى الله عليه وسلم– لأصحابه رضي الله عنهم: «من أطاعني فقد أطاع الله...»، تصيد منافقو المدينة هذا الخبر للنبي– صلى الله عليه وسلم–، محاولين بذلك الوقوف في أمر دعوته، فقالوا:" ألا تسمعون إلى هذا الرجل وما يقول؟ لقد قارب الشرك وهو ينهي ألا يعبد إلا الله، فما حمله على الذي قال إلا أن نتخذه حنانا– يعنون ربا– كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم حنانا" (١).

الوقفة الثانية:

إن كان مدعي هذه الشبهة يؤمن بالله ربا وباليوم الآخر معادا وجزاء، فقد أنزل الله– عز وجل– تصديقا لقوله نبيه– صلى الله عليه وسلم– «من أطاعني فقد أطاع الله...» وتكذيبا لأصحاب هذه الفرية قبلك ومن سار على نفاقهم؛ قرآنا يتلى إلى يوم القيامة حيث قال – عَزَّ وَجَلَّ –:﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾(٢)، فقد أخبر تعالى في هذه الآية أن طاعة الرسول له طاعة، يعني – من يطع الرسول فيما أمر به فقد أطاع الله – (٣)، قال الإمام الطبري في بيان المراد بهذه الآية: "وهذا إعذارٌ من الله إلى خلقه في نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى ذكره لهم: من يطع منكم، أيها الناس، محمدًا فقد أطاعني بطاعته إياه، فاسمعوا قوله وأطيعوا أمرَه، فإنه مهما يأمركم به من شيء فمن أمري يأمركم، وما نهاكم عنه من شيء فمن نهيي، فلا يقولنَّ أحدكم: "إنما محمد بشر مثلنا يريد أن يتفضَّل علينا"!(٤)، ولهذا قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول

---

(١) – تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبدالله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ،

(٢) – [النساء: ٧٩]

(٣) – معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ، (ج: ١/ ص: ٦٦٦).

(٤) – جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، (ج:٨ / ص: ٥٠٢).



وأولي الأمر منكم﴾[١]؛ وقد أشار علماء التفسير إلى ملاحظة مهمة بخصوص تكرار العامل في لفظ الجلالة - الله- وكلمة الرسول دون أولي الأمر في هذه الآية، مع أن المطاع في الحقيقة هو الله تعالى، فذكروا أن تعبير القرآن الكريم إنما استعمل الأمر بالطاعة قبل ورود كلمة (الله) (أطيعوا الله)، لأن الأمر بطاعة الله مستقل بنفسه كل الاستقلال، كما استعمل نفس الأمر بالطاعة قبل ورود كلمة (الرسول) ــ (وأطيعوا الرسول) حيث إن الأمر بطاعة الرسول مستقل بنفسه أيضا، وإن كانت طاعة الرسول هي في نهاية الأمر وحقيقته طاعة لمن أرسله وهو الله، وإن كان الرسول نفسه أول مطيع لله وملتزم لأمره بحكم رسالته وعصمته، وأما طاعة (أولي الأمر) فقد ربطها القرآن بطاعة الرسول نفسه ربطا وثيقا محكما، وذلك بواسطة واو العطف، وجعلها بحكم هذا الربط مندرجة تحت طاعته، إذ إنها بمنزلة الفرع من الأصل، والطاعة الأصلية طاعة الله ورسوله، وفي إطارها، وفي دائرة حدودها تتم طاعة أولي الأمر، الذين هم خلفاء الرسول بالنسبة لأمته وملته[٢].

إذن فمن خلال ما سبق يبيّن بوضوح تام؛ أن طاعة الأمير ليست طاعة له بالذات، وإنما هي طاعة لمن أمر بطاعته وهو الرسول- صلى الله عليه وسلم - ، ومن يعص الأمير فإنما عصى حقيقة الرسول- صلى الله عليه وسلم - لأن الله تعالى أمر بطاعته صلى الله عليه وسلم، والرسول المبلغ عن ربه أمر صلى الله عليه وسلم بطاعة الأمير؛ فتلازمت الطاعة، فكأن الذي يطيع الأمير يطيع الله ورسوله على الحقيقة[٣] ، ومن ثم فإن مقام طاعة الرسول أعلى مرتبة من طاعة أولي الأمر، ولما كان مقام كبريائه

---

(١) - [النساء: ٥٨].

(٢) - ينظر كتاب: إعلام الموقعين عن رب العالمين لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ، (ج:٢ / ص: ٨٩)/ التيسير في أحاديث التفسير، لمحمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، (ج: ١ / ص: ٣٤٧) .

(٣) - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ ، (ج: ١٢ / ص: ٢٢٤)/ كَشْفُ المَنَاهِجِ وَالتَّنَاقِيحِ فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ المَصَابِيحِ، لمحمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمي المُنَاوِي ثم القاهري، الشافعيّ، صدر الدين، أبي المعالي (المتوفى: ٨٠٣هـ)، الناشر: الدار العربية للموسوعات، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، (ج: ٣ / ص: ٢٦٥) .

تعالى أَجل من أن يصلح كل أحد لخطابه اختار الرسل لذلك، ثم أمرهم بالتبليغ عنه، ولما لم يكن في وسع الرسول تبليغ الأحكام إلى كل أحد قال: بلغوا عني، هذه الحقيقة قررها أحمد بن إسماعيل الكوراني الشافعي ثم الحنفي يقول بيان قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[1]؛ حيث قال: "والحق أنَّه إنما ترك لفظ أطيعوا في أولي الأمر إشارة إلى انحطاط رتبتهم عن رتبة الرسول – صلى الله عليه وسلم –؛ لأنهم يأخذون الأحكام مما جاء به، والتحقيق في هذا المقام أن لا حكم على عباد الله إلَّا الله، ولما كان مقام كبريائه تعالى أَجل من أن يصلح كل أحد لخطابه اختار الرسل لذلك، ثم أمرهم بالتبليغ عنه ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾[2] ولما لم يكن في وسع الرسول تبليغ الأحكام إلى كل أحد قال: بلغوا عني..."[3]، ويزيد الطاهر بن عاشور إيضاحا لهذه الحقيقة فيقول: "وإنما أعيد فعل: وأطيعوا الرسول مع أن حرف العطف يغني عن إعادته إظهارا للاهتمام بتحصيل طاعة الرسول لتكون أعلى مرتبة من طاعة أولي الأمر"[4]، ثم إن طاعة الرعية لأميرهم، إنما هي بمثابة طاعة المرؤوس لرئيسه وطاعة العبد لسيده، والتلميذ لأستاذه وطاعة أفراد الأسرة لمن له ولاية خاصة عليهم، مثل طاعة الأبناء، وطاعة الزوج، وطاعة الوالدين، والكل مطيع لله فيما أمر ونهى، ومن ثم فلا وجه للمقارنة بين طاعة الخالق وطاعة المخلوق، وعليه فإن ادعاء هذا المدعي أن قدَر الحاكم هو قدَر الله هو توهم وجنون مبني عن هوى وقلة علم، أو عن أغراض في نفسه.

الوقفة الثالثة:

وليعلم أيضا محيو هذه الشبهة؛ أن أصل الطاعة عند علمائنا قد تكون لمن سوى اللَّه، والعبادة لا تكون إلا لله تعالى؛ فلذلك قال نُوح لِقَوْمِهِ لما أمرهم بالعبادة: (اعْبُدُوا اللَّه)، أضافها إلى اللَّه تعالى،

---

(١) – [النساء: ٥٨].

(٢) – [المائدة: ٦٦]

(٣) – الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، لأحمد بن إسماعيل الكوراني الشافعي ثم الحنفي المتوفى ٨٩٣ هـ، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م – (ج: ١١ / ص: ٥٣) .

(٤) – التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، (ج: ٥/ ص: ٩٧)/ التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى (ج:٣ /ص: ١٩١)

ولما أمرهم بالطاعة أضافها إلى نفسه بقوله: (وَأَطِيعُونِ)، حكى عنه ربنا هذا القول، فقال تعالى:(يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ)، ففيه دلالة أنه ليس في الطاعة لآخر إشراك باللَّه تعالى في الطاعة، فالعبادة كأنها تقتضي الخضوع والتضرع على الرجاء والخوف، واللَّه تعالى هو الذي يرجى منه ويخاف من نقمته، فأما الطاعة فهي تقتضي فعلا على الأمر لا غير؛ كأمر الأب لابنه والأستاذ لتلميذه، وعلى ذلك لما صرفت الكفرة الرجاء والخوف إلى الأصنام بقولهم: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)، وقولهم: (هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ)، سموا: عباد الأصنام، فكل من يفعل الفعل على الخوف والرجاء فذلك منه عبادة له[1].

قال أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) في بيان قوله تعالى: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)[2] : "ظاهر مكشوف، حقيقته أنه يطيعه لطاعة اللَّه؛ إذ الأمر يطيعه على أنه يدعوه إلى طاعته، وطاعته إجابته له بما يطيع اللَّه به، وحكمته أنه لم يجعل مسلك الطاعة عبادة وإن كانت هي لله عبادة، ولا تجوز عبادة الرسول؛ فصير اللَّه - تعالى - طاعته عبادة لله - تعالى - فأعلم: أن الطاعة قد تكون غير مستحقة لاسم العبادة؛ إذ قد يسمى لا من ذلك الوجه، ولذلك جاز القول بمطاع في الخلق، ولا يجوز بمعبود، واللَّه أعلم"[3].

الحاصل مما سبق بيانه؛ أن هذا المعترض على حديث الطاعة، لم يفهم شيئا عن أصول اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، ومكانها من دين الله جل جلاله، ولم يفهم ما يدل على ذلك، ولم يعترض حين اعترض على ذلك الأصل المقرر بشيء ينفعه أو له تعلق بمحل بحثه ونظره، فليت هذا المرتاب إذا أشكل عليه أمر رده إلى أولي الأمر من العلماء والفقهاء ليجيبوه على شبهته.

هدانا الله جميعا إلى ما فيه الهدى والرشاد، والله أعلم.

وفي ختام هذا المقال، ولما كان لابد لكل عمل من خاتمة، تُعَدَّد فيها نتائجه، وتُبْرَز فيها الفوائد الحاصلة من خلاله، فقد تبين لي جملة من الحقائق والنتائج من أهمها ما يأتي:

---

(١) - تفسير الماتريدي ، لمحمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، (ج: ١٠ / ص: ٢٢١) ، بتصرف.

(٢) - [النساء: ٧٩].

(٣) - تفسير الماتريدي، أبي منصور الماتريدي: (ج: ٣ / ص: ٢٧٠).

- حديث طاعة ولي الأمر الذي طعن فيه زكريا أزون حديث صحيح ورد في أصح كتب السنة، فقد أخرجه البخاري ومسلم من أكثر من طريق، وأخرجه أيضا غيرهما من أصحاب السنن والمسانيد .
- اعتماد زكريا أزون في رده لحديث الطاعة الثابت عن رسولنا - صلى الله عليه وسلم -، على أدلة لا ترقى إلى مستوى البحث العلمي الموضوعي.
- طاعة الأمراء ليست طاعة لهم بالذات، وإنما هي طاعة للرسول- صلى الله عليه وسلم -، لأن الله تعالى أمر بطاعته صلى الله عليه وسلم، والرسول المبلغ عن ربه أمر بطاعة الأمير؛ فتلازمت الطاعة، فكأن الذي يطيع الأمير يطيع الله ورسوله على الحقيقة، ولا وجه للمقارنة بين طاعة الخالق وطاعة المخلوق.
- أصل الطاعة عند علمائنا قد تكون لمن سوى اللّه، والعبادة لا تكون إلا لله تعالى.

هذا وأسأل الله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرزقنا جميعاً السداد في الأقوال والأعمال، كما أسأل الله تعالى أن يقينا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يصلح ولاة الأمور، ويرزقهم البطانة الصالحة التي تأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر بالتي هي أحسن وبالتي هي أقوم، إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، والحمد لله رب العالمين.





ترحب هيئة التحرير بكم، وتستقبل مساهماتكم ونشاطاتكم العلمية على البريد الإلكتروني

mailto:almohadith.mg@gmail.com

ضوابط النشر في المجلة

١. أن تكون المقالات باللغة العربية.

٢.أن تكون المقالات علمية متخصصة بالحديث وعلومه.

٣. تعرض المقالات على اللجنة العلمية للمجلة، وقد تعدل عليها علميا، وبما يناسب طبيعة المجلة.

٤. لا يوجد إلزام لهيئة التحرير بنشر المقالات.

٥. يكون النشر بحسب متطلبات المجلة، ووفق الأمور الفنية الآتية:

أ. هوامش الصفحة تكون ٣ سم من كل الاتجاهات الأربعة، ويكون التباعد (مفردًا).

ب. يستخدم خط (Traditional Arabic) للغة العربية، بحجم (١٨)، وبحجم (١٤) للحاشية، وبحجم (١١) للجداول والأشكال.

ت. يستخدم خط (Times New Roman) للغة الانجليزية، بحجم (١٢)، وبحجم (١٠) للحاشية والجداول والأشكال.

ث. تكتب الآيات القرآنية وفق المصحف الالكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بحجم (١٦) بلون عادي غير مسوَّد.

ج. أن يعتني الباحث بسلامة البحث من الأخطاء اللغوية والنحوية.





مجلة

المحدث

تصدر عن

مدرسة الحديث العراقية